الأبتر

رواية

الأبتر

رواية

محمد عبد القادر

مراجعة لغوية: حسن بركات

تصميم الغلاف:محمد محسن

الطبعة الأولى: 2021

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 14458/ 2021

الترقيم الدولي: 5- 46-6798-977-978

إشراف عام: رباب الشهاوي



الفؤاد للنشر والتوزيع

برج سانت فاتيما. أمام جنينة مول. مدينة نصر

Alfouad_publishing@hotmail.com

facebook.com/fouadpublishing

الأبـتـر

رواية

محمد عبد القادر

الفؤاد للنشــــر والتــوزيـــع


لا داعٍ للبقاء مكتوف اليدين!

ما قبل الإهداء

إلى من بعثه اللّٰه ليكون نعم السند والعون لي/ أحمد محمد أحمد عبدالقادر.

إلى كل من اخبرني يوما أنه لا فائدة من وجودي في هذه الدنيا.. أتمنى لكم قراءة ممتعة.

١

وقف أمام قصر كبير بعد أن ترجل من السيارة الفارهة التي أحضرته، نظر إلى ملابسه البالية ثم نظر إلى الشخص الذي يقف أمامه ويشير إليه بالدخول وبدأ التحرك، أخذ يتلفت حوله ويحاول أن يمسح وجهه جيدًا من أثر الغبار الذي تراكم عليه من النوم بالشوارع، فتح أحد العاملين بالقصر الباب فدلف ومعه الشخص الذي كان بالسيارة ثم توجه كلاهما إلى غرفة كبيرة تمتلئ بالتماثيل، أخذ ينظر إلى كل تمثال ويتأمله جيدًا ومن خلفه يسير الآخر وهو يبتسم بسبب البلاهة الظاهرة على وجه هذا الشاب المعدم الذي يسير أمامه. لا يعلم لم أرسله سيده ليجلبه له، هل من الممكن أن يكون هناك قرابة تجمعهما كما يرى في الأفلام القديمة، أم أنه يعطف عليه، لم يشغل باله كثيرًا وتوقف أمام المكتب وقام بفتح الباب بعد أن طرق عليه عدة طرقات وسمع صوت من بالداخل يأذن له.

دخل إلى المكتب فوجد شخصًا كبير السن يجلس وقد بدا الشيب على رأسه فتوقف بعد أن وجد الشخص الذي كان يرافقه يتوقف خارج المكتب.

ـ تعالى يا ابني متخافش

اقترب وبدأ يركز نظره إلى تلك العصى التي يمسكها هذا الشخص في يده، فهذه أول مرة يرى شيئًا بهذه الشاكلة، رفيعة ويبدو أنها تمتلك شكلًا

حلزونيًا، انتفض عندما رأى رأسها فوجدها على شكل أفعى، ضحك هذا الشخص الجالس من ردة الفعل وأخبره أنه تم تصميمها خصيصًا من أجله، فهى تدل على نوع من أشهر الأفاعى السامة على الإطلاق تستوطن بعض الأماكن في الشرق الأوسط مثل فلسطين والأردن ولبنان والسعودية وجنوب سيناء ولدغتها قاتلة. اقترب الشاب وجلس قبالة الكرسيّ وبدأ يستمع إلى ما يملى عليه، ويبدو أن طاقة القدر فتحت له أو أنه قد أعد له مكانًا في أعمق مكان في الجحيم!

***

2

ليلٌ وظلمةٌ تحيط بكافة أرجاء المكان وألمٌ قد انتشر في سائر الجسد هي كل ما يملكه هذا الشخص الذي ساقه القدر إلى مصيره الحتمي في هذا الشهر من العام، ارتفاع درجة الحرارة مع انغلاق الغرفة بشكل محكم جعل نفاذ الهواء إلى الداخل أمرًا شبه مستحيل. سلاسلٌ متدليةٌ من سقف الغرفة وأخرى تم تثبيتها بالأرض، أربعة أطراف من الحديد الثقيل تم تقييده بها، الحمل زائد إلى الحد الذي لا يمكن تحمله، اليدان مشدودتان إلى أعلى، وقدماه تم تقييدهما بإحكام، كافة القيود مشدودة بشكل متساوٍ مما يجعل الألم ينتشر في كافة أجزاء الجسم دون رأفة، بضع قطرات من الماء تتساقط برتابة شديدة لتصنع صوتا مميزا مع اصطدامها بذلك الجسد المعلق بوسط الغرفة، انخفاض منسوب الهواء مع الربط المحكم لكافة الأطراف لفترة زمنية طويلة كفيل بجعل أعتى الرجال لا يقوى على تحمل المزيد، أصبح هذا الجسد يرتجف فور سقوط تلك القطرات المتتالية مع شعوره بإقتراب أجله، ولكن ما كان يؤرقه قبل غفواته الاخيرة وفقدانه للوعى المتكرر هو عدم معرفته لسبب تواجده في هذا المكان ولا سبب تعذيبه بهذه الكيفية.

صوت أقدام تتقدم ببطء تجاه باب الغرفة، صوت مزلاج الباب يرتفع ليعلن عن أول زيارة بعد فترة من الرعب النفسي التي مر بها " هو " بدون علمه السبب، اقترب صاحب الخطوات منه حتى فاحت منه رائحة زكية ونظر إليه

ثم بدأ يدور حوله وعلى وجهه ابتسامة غريبة، ومع دورانه بدأ يقترب منه ويقوم بالضغط على أماكن بعض الحروق التي أصابه بها في أول يوم جاء فيه إلى هنا فارتفعت صرخاته إلى أقصاها، وأخذ العرق يتساقط منه بشكل غزير ، وبدأ يتلفت حوله بشكل هستيري ويجذب يديه بقوة في محاولة منه لإفلاتها، ولكن مع الإرهاق الذي يشعر به لم يستطع أن يغير شيئًا حتى بدأ صوته في الانخفاض تدريجيا وسكنت حركة الجسد بعد أن فقد وعيه من شدة الألم.

غادر ذلك الأنيق الغرفة بعد أن أغلق الباب جيدًا ونظف يده بقطعة من القماش يضعها بجوار الباب، ثم بدأ في التحرك تجاه السلم المؤدى إلى الأعلى، وعلى الجانبين ظهرت بعض الغرف المشابهة لتلك التي تواجد بها منذ لحظات، كما ظهر ترقيم على باب كل غرفة، بدءًا من الرقم (1)، الأبواب كلها لها نفس اللون الرمادى القاتم. انتهى الممر وصعد بضع درجات من السلم ليوقفه صراخ شديد ارتفع دون سابق إنذار فعاد أدراجه ليقف أمام الباب الذي يحمل رقم (4).



2008

الجمعة ... الساعة 7 مساءً

عاد أسامة من العمل وهو في أشد الحاجة إلى حمام دافئ لكي يستطيع أن يكمل يومه بشكل جيد، دخل إلى الشقة فوجد الأنوار مغلقة، هناك رائحة زكية تعطر المكان، ترتفع من غرفة النوم أصوات موسيقى عمر خيرت التي يعشقها، لا توجد أي حركة بالمنزل مما زاد شكوكه، نظر إلى الهاتف ليرى تاريخ اليوم فلم يجده يومًا مميزًا، لا يوجد معايدة لأحد في هذا اليوم ولا هو أحد أيام عيد الحب.

اقترب من باب الغرفة على أطراف أصابعه كيلا يصدر أي صوت حتى يعلم ما الذي يحدث، يعلم أن هيام تعشق الرومانسية ولكن ليس إلى هذا الحد، لابد أن هناك خطب ما، من المؤكد أنه سيغرم كثيرا مقابل يوما بهذه الرومانسية. اقترب من الباب وفتحه، واذا بأجمل حورية يمكن أن تراها العين تقف أمامه وتنظر إليه بعشق، حاول الاقتراب ولكنها منعته بدلال وأخبرته أنها حزينة لأنه لم يتذكر هذا اليوم.

حاول جاهدًا أن يبحث في ذاكرته عن أي شيء مميز ولكنه فشل، حاول أن يناغشها بسؤاله عن سر هذا الجمال الذي يراها فيه اليوم، وبينما يبادرها

بسؤاله أخذ يمسح الغرفة بنظره لعله يجد أي سبيل يهديه إلى حل هذه المعضلة التي يقف فيها الآن.

وجد بعض الصور التي تجمعهما في فترة الخطوبة بالإضافة إلى صور شهر العسل تم وضعها بعناية شديدة بجوار بعضها البعض، كلما نظر إلى إحدى الصور تذكر اليوم بكافة تفاصيله فأخذت ملامحه تتبدل ما بين الفرح والاندهاش، مشاعر متضاربة لا يعلم كيف يسيطر عليها بعد هذه الدفعة الكبيرة من الذكريات التي اجتاحته الآن. ظلت هى تنظر إليه بدلال مصطنع لعله يتذكر أي شيء يبدل من هذه الحالة التي تقف عليها منذ أن وطأت قدماه الغرفة.

بعد عدة دقائق خلعت الروب الخاص بها وصعدت إلى السرير وتدثرت بالغطاء ونظرت إليه بنظرة حزن صادقة لتقول بصوت متهدج:

ـ متنساش بعد ما تغير هدومك تقفل النور، الأكل على الترابيزة عندك، وإن شاء الله أنا هكون عند ماما يومين كدة علشان تعبانة شوية، تصبح على خير.



3

بناية كبيرة في أحد الأحياء الراقية بمدينة نصر، تمتلئ طوابقها الشاهقة بالزجاج الملون باللون الأزرق يقف أمامها أسامة، حاول جاهدًا رؤية نهاية هذا الصرح الكبير، ولكن الشمس حالت بينه وبين رؤية آخر طابق الذي كتب عليه بإحترافية كبيرة " الناصر للمقاولات العامة ". دخل إلى الاستقبال وهو يتأمل اللوحات الكبيرة المعلقة في ساحة الانتظار لأهم المشروعات التي قامت الشركة بتنفيذها، أغلب هذه المنشآت هى الآن منشآت حيوية ويمتلكها أهم رجال الدولة، ترى هل هناك رابط بين صاحب المنشأة وأحد هؤلاء العمالقة، أسئلة كثيرة أخذت تدور في خلده ولكن أفاقه من شروده عاملة الاستقبال التي وقف أمامها قبل لحظات.

ـ أقدر أساعد حضرتك بحاجة يا فندم؟

ـ صباح الخير، كان عندي معاد مع المهندس محمود بعد ربع ساعة.

ـ هستأذن حضرتك في الاسم

ـ دكتور أسامة غريب

راجعت الموظفة بعض البيانات على جهاز الكمبيوتر الموجود أمامها ثم أشارت لأحد العاملين بإصطحاب أسامة إلى الطابق السابع

ـ اتفضل يا دكتور، الأستاذ محمد هيوصل حضرتك لمكتب المهندس محمود

تحرك أسامة وهو يكمل تأمله لكافة اللوحات المعلقة في بهو الاستقبال، صعد برفقة محمد إلى الطابق السابع وعندما وصلا انبهر مما رأي، يبدو أنه قد وجد غايته وأن كافة المعلومات التي حصل عليها صحيحة ولكن لا مانع من الاستمتاع قليلا. أفاق من شروده على صوت ملائكى ينبهه أن المهندس محمود في انتظاره فوجدها السكرتيرة الخاصة به، تبعها إلى الداخل فوجد مكتبًا كبيرًا يتوسط الغرفة يجلس خلفه رجل أربعينى يوقع بعض الأوراق أمامه، صورة كبيرة تتوسط الحائط خلفه، تجمعه برئيس الوزراء في افتتاح أحد فروع الشركة منذ عقدٍ من الزمن، مجموعة من المجسمات الصغيرة توجد على منضدة في أقصى الغرفة يجاورها مكان خاص للاجتماعات تتوسطه منضدة تراصت حولها مجموعة من المقاعد بشكل دائري. عاد أسامة إليه بعينيه، فيما تحرك الرجل من مكانه وتوجه إليه مرحبا بودٍ مصطنع أجاد تمثيله بإتقان، ثم دعاه للجلوس على أريكة بجوار المكتب يبدو أنه يستخدمها للجلسات الودية

ـ سعيد جدًا بحضورك يا دكتور أسامة وأتمنى مكونش أزعجت حضرتك بطلبى دا

ـ لا خالص يا بشمهندس، تحت أمرك.

ـ أولا أنا بشكرك جدًا على التزامك بالموعد اللي اتفقنا عليه لأن أنا عارف أن جدولك أكيد مشغول وأنا كمان مضغوط اليومين دول بمجموعة من الأعمال المهمة جدًا فبالتالى مش هاخد من وقتك كتير

ـ اتمنى إني أقدر اساعد حضرتك في الحاجة اللي أنت محتاجها

ـ إن شاء الله هتقدر

بدأ محمود في سرد كافة التفاصيل التي يرى أن أسامة بحاجة إلى معرفتها، ولكنه لا يعلم أن كل ما يخبره به حتى الآن كان يعلمه تمام العلم بل وأكثر من ذلك أيضًا. انتظره طويلًا حتى انتهى من مدحه وإخباره عن مدى السمعة الطيبة التي يحظى بها وأن أحد أصدقائه المقربين هو من قام بترشيحه له من أجل إتمام هذا العمل. في بادئ الأمر شعر أن هناك خطب ما في نظراته، ولكن بعد قليل من الوقت ومع دخول فتى البوفيه الذي وضع قدحين من القهوة ثم انصرف، أدرك أسامة أنه يحاول اختبار ردود أفعاله تجاه ما يخبره به، ابتسم له بود وبدأ جولته في الحديث بعدما انتهى الآخر.

– يعنى أقدر أفهم من حضرتك يا باشمهندس أن اللي أنت محتاجه منى هو عملية تأهيل لكافة العاملين بالشركة عندك في المقر الرئيسى هنا، وبعد كدة هنعمل دا في باقى الفروع بتاعة الشركة بحيث تقدر تعلى إنتاجية الشركات الخاصة بحضرتك، وبكدة يبقى أنت بتحافظ على جودة العمل الخارجى

واللى بيتمثل في مهارة المهندسين القائمين على المشروعات اللي عندك وجودة العمل الداخلى من حيث إدارة المنشأة؟

ـ بالظبط كدة

ـ الفكرة في حد ذاتها جميلة جدًا بس حضرتك مش شايف أن في الوقت الحالى التنمية البشرية بقيت هي اللي بتقوم بالدور دا أكتر؟

ـ كلام حضرتك صح يا دكتور بس أنا شايف أن في الغالب مدربين التنمية البشرية أو التنمية الذاتية أيًا كان مسماهم دايما بيحطوا التاتش بتاعهم في الشغل، ودا ممكن نقبله في الحياة العامة بنسبة ما، لكن في شغل مهم زى اللي بكلم حضرتك عنه أعتقد أن الجانب العلمى هيكون أفضل في الاعتماد عليه.

ـ مش مختلف مع حضرتك في اللي بتقوله ولكن الموضوع هيكلفك كتير بجانب أنه هياخد وقت، يعنى مش في يوم وليلة هقدر أشوف كل حاجة العاملين عندك محتاجينها وبالعصا السحرية أغير دا، هحتاج الأول أفهم أنماط العاملين في الشركة وأبدأ أشتغل عليهم بعد ما يتقسموا فئات، لأن طبعا زى ما حضرتك عارف كل عقلية وليها مفتاح وطريقة لازم نتعامل بيها معاها علشان نقدر نوصل للمردود اللي احنا عاوزينه منها، وبالتالى دا هيحتاج مننا مجهود كبير ووقت أكبر، ودا اللي خلاني أرشح لحضرتك التنمية

الذاتية لأنهم بيقدروا يستخدموا طرق تحفيز للعاملين، إنما أنا أو الطب النفسي عامة بيشتغل على الموضوع دا من منظور تانى خالص.

ـ يا دكتور أسامة كل اللي حضرتك بتكلمنى فيه دا أنا عارفه كويس جدًا، وعشان كدة لما كنت ببحث في الموضوع من فترة طويلة طلبت من عدد من الأصدقاء انهم يرشحولى حد من الاطباء النفسيين اللي يكون ليهم باع كويس جدًا في التخصص اللي أنا عاوزه بحيث يقدر يقوم بمهام مدربين التنمية البشرية ولكن بطريقة علمية علشان أقدر احافظ على استمرارية الجودة في الحاجة اللي أنا عاوزها، مش مجرد حالة الناس هتكون فيها لفترة صغيرة وبعد كدة التاثير بتاعها ينتهى فنبدأ ندور على حل تانى ليها.

ـ كلام حضرتك سليم يا فندم بس برضه أنا مش هقدر اكون متابع بشكل كامل للتدريب بالشركة هنا لأن زى ما حضرتك عارف إني موظف في مستشفى حكومى بجانب شغلى في العيادة الخاصة بتاعتى.

ـ أنا عارف كويس جدًا أن بكدة مش هيكون في وقت للعيادة بتاعتك وفى نفس الوقت شغلك في المستشفى هيكون متعلق لحين الانتهاء من العمل معايا في المهمة دى، بس دا ميمنعش أنه ممكن تخلي في يوم أو اتنين تبقى موجود فيهم في العيادة بحيث اسمك ومكانتك تفضل دايما ظاهرة بشكل جيد، وبكدة نكون قدرنا نضرب عصفورين بحجر واحد، بجانب أن هيكون

معاك هيثم، هيساعدك في كل حاجة هتحتاجها لأن أغلب الوقت أنا مش هكون موجود وهو اللي هيتابع معاك، تقدر تتعامل مع هيثم زى ما بتتعامل معايا بالظبط، هو الراجل بتاعى ودراعى اليمين.

انتهي أسامة من المناقشة و ظفر بكل ما أتى من أجله، استطاع أن ينال الثقة والفرصة ولم يبق لديه إلا استغلالهما بالشكل الأمثل وها قد بدأت رحلته الشاقة، فشخصية محمود ليست بالشخصية السهلة وطريقة حديثه يبدو منها أنه لم يولد وفى فمه ملعقة من الذهب، وأن كل ما وصل إليه جعله ضمن صفوة المجتمع بالنسبة للماديات ولكن شخصيته الأساسية ما زالت تؤثر بشكل كبير على تصرفاته، فيبدو أنه عانى الكثير في صغره وشبابه حتى استطاع أن يصل إلى ما هو فيه الآن، ويبدو أنه استغرق الكثير حتى يغير من طريقة حديثه. يبدو أنه كان تاجرًا قبل أن يصبح رجل أعمال، فالطريقة التي يتحدث بها لا تنم عن شخص ارتقى سوق العمل بعد تخرجه مباشرة.

خرج أسامة من الشركة وعلى محيَّاه ابتسامة مشرقة، سار قليلًا حتى وصل إلى سيارته، وبدأت الأحداث تتزاحم في رأسه بشكل غير طبيعى مما أصابه بصداع شديد، فتوجه إلى المنزل مباشرة ليستريح قليلا قبل التوجه إلى المستشفى.

***

فى إحدى صالات الجيم الشهيرة بمنطقة زهراء المعادى، بدأت الأعداد الموجودة في الانصراف ولم يتبق سوى كابتن الصالة الذي جلس ينتظر ذاك الذي أتى بملابسه الفضفاضة ويحمل في يده حقيبهة صغيرة وباليد الأخرى أخرج الهاتف من جيبه ليوقف الموسيقى التي كان يستمع إليها. ألقى التحية ثم دخل إلى غرفة الملابس وقام بتبديل ملابسه وارتداء الملابس الرياضية ثم خرج ليبدأ في تمارينه الخاصة.

ـ نفسي أعرف أيه السر في إنك دايما تحب تيجي تتدرب بعد ما الناس كلها تمشى، أنت عليك تار ومش عاوز حد يشوفك يا ابني ولا أيه؟

ألقى صاحب المكان مقولته على سبيل الدعابة ولكنه لم يتلق أي إجابة منه إذ انهمك في التمرين وقد وضع سدادات الأذن؛ غريب هذا الشخص منذ أتى في المرة الأولى وأتم اتفاقه مع صاحب المكان على أن يتدرب وحيدا بعد انصراف كافة المتدربين المتوافدين على المكان، هذا هو عامه الثانى منذ أتى أول مرة، لا يتخلف عن التمرين أبدًا مهما حدث، يقوم بسداد الرسوم الخاصة به قبل موعدها بعدة أيام، لا يتحدث مع أحد ولا يصطحب معه أحدًا إلى التمرين، يبدأ تمرينه الخاص يوميًا في تمام الثانية عشرة مساءً وينتهي منه في الواحدة صباحا. لا يراه أحد بالقرب من المكان إلا في هذه الأثناء، ولا

يعلم أحد عنه شيئًا، فقط اسمه مصطفى الغول، في عقده الثالث، مفتول العضلات ولا يتعاطى أي منشطات، فقط يأتي إلى الجيم ويتم تمرينه وينصرف دون الحديث عن أي شيء.

***

مساء اليوم التالي

تمتلئ الحياة بالعديد من الصعاب التي نمر بها، في بعض الأحيان نستطيع العبور إلى ما هو أفضل وفى البعض الآخر لا يمكننا ذلك، ولكن عل الأقل نعلم وقتها أنه لا بد من وجود حل. كان هذا هو حال مصطفي بعدما تم الحكم عليه بقضاء عامين بالسجن العسكرى وتم بعدها إقصائه من مهامه، ولكن يبدو أن هذا الأمر لن يدوم طويلًا، في الغالب سيحصل على وظيفة جيدة في الأيام التالية.

كان هذا هو كل ما يدور بخلده طوال العام الماضي، ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه. احمرار قرص الشمس منظر يدعو إلى الشاعرية، ولكن عندما تكون وحيدا فلا شيء في هذه الحياة يستحق النضال من أجله. بدأت الأحداث تتدافع إلى رأسه تباعا ولا يستطيع أن يجد مفر منها إلا بالركض، بدأ يركض بكل ما ملك من عزم حتى بدأ يشعر بالإرهاق الشديد، عاد إلى المنزل وقد قاربت الساعة على التاسعة والنصف مساء وقد اقترب موعد

التمرين، دلف إلى الحمام وقام بالاستحمام وتغيير ملابسه وأعد الحقيبة الخاصة بالتمرين وجلس لالتقاط أنفاسه قليلا قبل الذهاب إلى الخارج.

***

قبل خمس سنوات

ارتفعت أشعة الشمس في نهار يوليو من عام 2003، وبدا اليوم وكأنه يوم الحشر، درجة الحرارة مرتفعة بشكل غير مسبوق، الجنود مرهقون بشكل كبير من التمرينات التي يداومون عليها منذ الخامسة صباحًا وحتى الآن. بدأ مصطفي يلقي إليهم بالأوامر تباعًا ويقومون بالتنفيذ دون تكاسل، استمرت التمرينات حتى نهاية اليوم وعاد كل جندي إلى مكان الخدمة الخاص به وذهب هو إلى غرفته ليستريح قليلا بعد إتمام كافة التعليمات التي تلقاها من العقيد حسام.

اقترب موعد إجازته وأخيرا سيعود إلى التمرين مرة أخرى، رغم أنه لا يتهاون في التمرين صباحًا ومساءً حتى يحافظ على لياقته، إلا أن التمرين منفردًا يجعل الأمر شيقًا بشكل أكبر، بينما يفكر في كافة الامور التي سيقوم بها في فترة الإجازة القادمة، إلا أن تفكيره قد قطعه صوت مرتفع يأتى من الخارج، يبدو أن هناك شجار ما بين الجنود. نهض سريعا وخرج ليرى ما الذي يحدث فوجد مجموعة من الجنود مشتبكين بالايادى ولا أحد يستطيع أن

يهدئ من انفعالهم، حاول الحديث معهم بصوت مرتفع ولكن لا أحد يصغى لما يقول ولا أحد يراه من الاصل، يبدو أنه قد غشيهم الغضب إلى الحد الذي جعلهم لا يشعرون بأى شخص يتواجد بجانبهم، صاح بصوت جهوري وقد أشهر سلاحه الميرى وأطلق عدة طلقات كنوع من التهديد، فاستطاع أن يلفت انتباههم أخيرا ويتوقف الشجار قليلا، ومع افتراق الجنود عن بعضهم البعض وجد أحدهم يقع مغشيا عليه بعد أن أصيب بطلق نارى لا يعلم من أين أصابه، فلم يكن أحد يحمل في يده سلاحًا غيره!. اقترب منهم وسأل عن الأطراف الرئيسية في الشجار واصطحبهم معه إلى المكتب وأمر باقى الجنود بالعودة إلى ثكناتهم بعد أن قام بإرسال الجندي المصاب إلى العيادة واطمأن عليه.

لم يمر الكثير من الوقت حتى قام العقيد حسام باستدعائه، وعندما ذهب إليه سأله عن سلاحه الميرى فلم يجده في الجراب الملحق بحزامه. استأذن منه في توتر وعاد مسرعا إلى مكان مبيته الخاص ليبحث عن السلاح، لكنه لم يجده.

***

القاهرة 2008

الساعة 11 صباحاً، يوم الجمعة

بدأت الشمس يشتد وهجها وبدأت الأجساد تتصبب عرقا، كلٌ يأوي إلى ظل يحتمى به من هذه الحرارة التي نهشت رؤسهم. توجه أسامة إلى الكافيه الذي اعتاد الجلوس به، كان النادل الذي يعمل بالمكان قد تعود على وجوده بهذا التوقيت من اليوم على نفس الطاولة، واستطاع أن يعلم مشروبه الذي لا يغيره منذ أتى إلى المكان في اليوم الأول له، قهوة سادة في كوب كبير عِوضًا عن الفنجان الذي لا يشبع عقله بما يكفي من الكافيين كما أخبره ذات يوم في لحظة صفاء نادرا ما تأتي. وضع النادل كوب القهوة ثم تبعه بابتسامة إلى أسامة الذي رد عليه نفس الابتسامة دون أن ينطق بكلمة وأخذ يرتشف قليلا من قهوته وهو يفكر فيما يحدث له هذه الأيام. تذكر يوم عودته إلى المنزل منذ أيام قليلة والطريقة التي قابلته بها زوجته، حاول جاهدًا تذكر السر في هذا التاريخ ولكن ذاكرته لم تسعفه في ذلك، مرت دقائق قليلة مع الكثير من التفكير الذي أرهقه بشدة ثم بدأ هاتفه يهتز على المنضدة، نظر إلى الاسم ولكنه لم يعره الاهتمام وأكمل كوب القهوة ثم انصرف بعد أن حيّا النادل وترك له الحساب مع "الشيك" وقليل من " التبس "، خرج من مكانه ثم ركب السيارة متجهًا إلى ميدان العباسية.

اقترب من الميدان وأوقف السيارة في مكان به القليل من الظل حتى لا تصبح السيارة جحيمًا مستعرًا عندما يقودها مرة أخرى، بدأ في التدخين بعد أن ترجل من السيارة وبدأ مسيرته إلى أحد الابنية القديمة التي تقترب كثيرا من ميدان العباسية، وجد العلامة المميزة التي كان يبحث عنها، وقف أمام العقار ونظر إليه طويلا وكأنه يتأمله ويتفحص جوانبه جيدًا، صعد إلى الدور الأول وضغط على جرس الباب ليخرج إليه رجل في أواخر عقده الخامس يرتدى جلبابًا أبيض ويمسك في يده مسبحة شديدة السواد. تجول في الشقة يتفحص تفاصيلها جيدًا، يفتح النوافذ ويرى المكان المحيط به والمحلات التي تطل عليها الشقة، يرى مدى قربه من الميدان وسهولة الوصول إلى مكانه؛ حاول أن يهمل ذلك الرجل الذي لم يصمت منذ وصوله، نظر له أسامة وعلى محياه ابتسامة رضى وأخبره أنه يريد أن يحصل على هذه الشقة ويريد أن يعلم كافة التفاصيل المتعلقة بها وتحديد موعد مع صاحبها للاتفاق على المبلغ المادى وإنهاء كافة الأوراق الرسمية في أقرب فرصة، فعيادة بهذا المكان ستكون أكثر من رائعة لسهولة الوصول إليها.

أنهى جولته وعاد مرة أخرى إلى السيارة ثم تحرك إلى الشركة ليقوم بالتنسيق مع إدارة التدريب من أجل تجهيز القاعات التي سيقوم بتدريب العاملين بها، بالاضافة إلى التأكد من توافر كافة الإمكانيات التي يحتاجها من أجل إتمام

العملية التدريبية. كانت هذه هى عادته منذ بدأ في إلقاء بعض المحاضرات في كلية الطب، لا بد أن يقوم بالذهاب إلى المكان الذي سيلقى فيه محاضرته والتأكد من سلامة كل شيء بشكل شخصي حتى يبدأ يومه في التدريب بشكل سليم.

وصل إلى الشركة، ورحب به هيثم وأخبره أن المهندس محمود كان يود المرور عليه، ولكن لظروف العمل سيكون هو بديلًا عنه. لم يعترض، ثم صعد برفقته إلى قاعة التدريب وبدأ يتفحص المكان بدقة شديدة، فيما أخذ هيثم يدوّن كافة الأمور التي أخبره أسامة بها.

أنهى جولته بالقاعة ثم خرج والأفكار تعصف برأسه ولا يعلم هل يستطيع أن يتم هذا الاتفاق أم لا، أغراه العرض المالي كثيرا ولكنه يحمل في ثناياه الكثير من القلق. أمس كان يحلم بنصف فرصة مثل تلك التي لاحت له في الأفق ولكنه يعلم جيدًا أنه ليس من السهل أن تأتي إليه الفرصة على طبق من ذهب كما اتته الآن دون أن يكون هناك ثمن لذلك، احتار كثيرا ولكنه أدرك أن الوقت يداهمه فأخذ يفكر فيما سيفعل وما القرار المناسب في هذا التوقيت.

انتهى لقائهما على أن يتم اللقاء مرة أخرى فور الانتهاء من التجهيزات لتحديد موعد البدء وإخبار المهندس محمود بذلك الميعاد.

عاد إلى سيارته وهو يرتب الأوراق التي كانت في يده ويعيد النظر كل عدة دقائق إلى هذه البناية الضخمة.

مازال الوقت مبكرًا على موعد عيادته، لكن زحام القاهرة في مثل هذا التوقيت كفيل بإضاعة الوقت. تحرك من أمام الشركة متوجهًا إلى عيادته قبل موعده بساعتين أملًا في أن يختلي بنفسه بعض الوقت ليرتب أوراقه؛ وصل إلى عيادته في المعادي فوجد الباب غير محكم الغلق، وقابله صوت حركة بالداخل فأدرك أن هدى السكرتيرة قد وصلت، نظر إلى ساعته فوجدها تشير إلى الرابعة والنصف، بالفعل أضاع الزحام أغلب الوقت. اتجه إلى مكتبه بعد أن حياها وطلب كوبا من القهوة، ثم أغلق الباب خلفه وجلس على المكتب يطالع بعض الأوراق التي قامت بتجهيزها له فور وصولها، مرت دقائق قليلة سمع بعدها طرقات على الباب فأذن لها بالدخول، تقدمت في هدوء لتضع القهوة على المكتب وتضع بجوارها كوبا من الماء المثلج، ثم عادت أدراجها إلى الخارج لتستكمل تنظيم المكان في هدوء لأنها تعلم أنه لا يحب الإزعاج أثناء تدخينه وتناول القهوة ومراجعة أوراقه. أنهت مهامها ثم أضاءت اللافتة الكبيرة أمام العيادة وبدأت في ترتيب أوراقها لاستقبال أول الوافدين.

مهما بلغ بك الألم، حتما هناك نهاية لكل
ذلك!

5

صوت أقدام تهبط درجات سلم يبدو أن عددها قليل، تبدأ الأضواء تنير الممر الذي يفصل بين الغرف الموجودة، شخص يسير ببطء بين الغرف يبدو من ثقل أقدامه أنه ضخم البنية، ظل يسير حتى وصل إلى الغرفة المنشودة، وقف امام الغرفة وأخذ ينظر إلى الرقم (2) وعلى وجهه شبح ابتسامة مخيفة، فتح الباب وأشعل ضوء الغرفة بعدما كانت الظلمة تخيم عليها، وأخذ يتأمل ذلك المُقيد ويقترب منه حتى أصبح يقف أمامه تمامًا، أمسك برأسه وبدأ يوجهها إليه وهو يبتسم ثم تركه وأخذ يدور في الغرفة ويتأمل العفن الموجود بها بسبب الرطوبة، ثم اقترب من الموقد الموجود أسفل الكرسى الذي يجلس عليه الشخص المقيد وأشعل النيران وبدأ يغنى مع سماعه لصوت الصراخ الذي يتعالى، فهذا الجسد قد أنهك تماما منذ أتى إلى هذا المكان، أماكن حروق منتشرة في كافة أنحاء الجسد يبدو أنها حدثت منذ فترة قليلة، بدأ هذا الضخم يتحرك حول الكرسى وهو يحمل في يده أداة حادة تم تسخينها جيدا وبدأ في غرسها في أماكن متفرقة من جسد الشخص المكبل لتبدو على وجهه علامات الرضى والسعادة، ارتفع الصراخ إلى أقصاه ثم فقد هذا المسكين وعيه وهو ما زال لا يعلم ما الذي أتى به إلى هنا ومن هذا الذي يقف أمامه ويقوم بتعذيبه بهذه الكيفية، أغلق الموقد مرة أخرى ونزعه من موضعه، يبدو أنها المرة

الاخيرة التي سيتم حرقه فيها بهذه الكيفية ويبدو أن هذا الشخص يريده حيا لأطول فترة ممكنة، ولكن لم كل هذا؟.

بدأ هذا الغامض يتحرك مرة أخرى في أرجاء الغرفة ثم انصرف وهو يصدر صفيرا مستفزا، أغلق الاضاءة والباب ثم انصرف، وأخذ يتأمل باقي الأبواب الموصدة فتعلقت عيناه بالغرفة التي تحمل الرقم (3) فاقترب منها وفتح النافذة الصغيرة الموجودة بالباب ونظر بالداخل فوجد الغرفة ساكنة تماما إلا من صوت انفاس متقطعة فأغلق النافذة مرة أخرى ثم انصرف.



٥

ليل وظلمة تخيم على أرجاء المكان، صمت يعم كافة النواحى إلا من نباح كلب أو عواء قطة، وسط الشارع يسير شاب عريض المنكبين، طويل القامة، يرتدى بنطال رياضى وتيشيرت ويضع قبعة تغطى راسه بالكامل ويركض بشكل منظم، يضع سماعة الاذن ويطلق العنان لنفسه وهو يفكر في مصيره المقبل، ما الذي سيفعله بعد أن ينتهي مخزون المال معه، لا بد أن يجد عملا يقتات منه بعد انتهاء خدمته بهذا الشكل المهين. أخذت سرعته تزداد كلما تذكر جزء من التفاصيل التي عاش يحاول حذفها من ذاكرته، بعد دقائق وجد نفسه يقف أمام محطة مترو الثكنات وبدأت بعض المحلات التجارية في فتح أبوابها طلبا للرزق، وقف أمام سبيل للمياه وارتشف القليل ثم أكمل ركضه إلى المجهول، استمر على هذه الحال قرابة الساعة ونصف، بدأت الشمس تعلن عن وجودها بارتفاع درجة حرارة الجو وانتشار الدفء، ثم زادت سخونة الشمس حتى بدأت تجهد هذا العتي، فعاد أدراجه مرة أخرى إلى مكان إقامته.

فى طريق العودة صادف جمالا لم ير مثله من قبل قط، فتاة في منتصف عقدها الثالث، ترتدى تنورة قصيرة وبلوزة فضفاضة، شعرها منسدل على ظهرها وترتدى نظارة شمسية تخفى نصف وجهها ولكنها لم تستطع أن تخفى هذا البياض الناصع، ظل ينظر إليها طويلا حتى كاد يتعثر، فانتبه سريعا وتمالك

نفسه ثم عاد يكمل مسيرته إلى المنزل، لكنه لم يلحظ هذه الابتسامة التي ارتسمت على ثغرها. عاد إلى المنزل فأعد الافطار وجلس يتناوله في استمتاع لذيذ لم يعتاد عليه في الفترة الأخيرة

مرت الدقائق رتيبة في فتور اعتاده في بداية يومه، جلس يرتشف القليل من الزنجبيل الدافئ قبل أن يدخل إلى الحمام ليغتسل من آثار الجرى.

خرج من الحمام بعدما حصل على كم وفير من الماء البارد جعله يشعر بطاقة غريبة، جلس على فراشه بعدما جفف جسده جيدا وارتدى ملابسه ثم أحضر بعض الأوراق الفارغة وقلما وجلس يخطط للفترة القادمة.

اقتربت الساعة من التاسعة صباحا وبدأ الإرهاق يظهر جليا عليه، حيث بدأ يفقد تأثير الكافيين الذي احتساه منذ ساعتين تقريبا وتملك الإرهاق منه وبدأت عيناه في الاغلاق، فترك كل ما بيده على الكومود المجاور للفراش وجذب الستائر لتُظلم أرجاء الغرفة وغط في سُبات عميق.



7

يوم الجمعة ... الساعة السادسة صباحًا

بدأ الضوء يتسلل ببطء إلى غرفة (أسامة) من بين بعض فتحات الشرفة غير الموصدة جيدًا. بدأت حرارة الشمس تثير بعض الضيق لديه مما أيقظه في نفس الموعد الذي يستيقظ به يوميا للذهاب إلى العمل، نظر إلى المنبه بجواره على الكومود وأخذ يلعن كسله الذي لم يجعله يغلق الشرفة جيدا قبل نومه، تحرك بتثأقل شديد حتى أحكم غلقها ثم عاد مرة أخرى إلى الفراش وحاول جاهدا اغلاق عينيه والنوم مرة أخرى ولكن لا حياة لمن تنادى، بدأ النعاس يذهب فأخذ يتلفت في الغرفة من حوله عله يجد فاتنته قد عادت دون أن يشعر، ولكن خاب أمله.

قام فاغتسل وجفف جسده جيدا ثم ارتدى ملابسه وخرج إلى المطبخ ليعد لنفسه كوبا من القهوة ويبدأ في ترتيب يومه، تحرك في الشقة ذهابا وإيابا دون أن يعلم ما الذي عليه فعله في هذا التوقيت، يشعر بإرهاق شديد من ضغط العمل طوال الاسبوع فقرر الراحة في هذا اليوم، ولكنه لم ينتبه أنه سيقضي يومه وحيدا بعد ذهاب زوجته إلى بيت والدتها منذ عدة أيام. نظر إلى الساعة فوجدها قاربت على السابعة صباحا، فكر في الاتصال بها ولكنه يعلم أنها لن تستيقظ في هذا الوقت أبدًا مهما حدث، أعد فطورا خفيفا وبعد أن تناوله أعد كوب قهوة آخر وذهب إلى مكتبه وأخرج بعض الأوراق عن "شركة

الناصر"، بدأ يتفحصها بدقة شديدة وهو يدخن ويحتسي القهوة حتى سمع صوت اذان صلاة الجمعة، تعجب من عدم شعوره بالوقت كل هذه المدة، فلملم أوراقه وأعاد ترتيب المكتب، ثم قام ليغير ملابسه وتوضأ وذهب إلى المسجد المجاور للمنزل ليؤدى صلاة الجمعة.

***

استيقظت (هيام) في العاشرة صباحا وأعدت الافطار لها ولوالدتها ثم أيقظتها وشرعتا في تناوله في صمت حتى كسرت والدتها هذا الصمت بسؤال مباغت:

ـ مالك يا بنتى؟ مش مرتاحة أنا لقعدتك دى خصوصا أن جوزك ولا جه ولا اتصل من ساعة ما جيتى، انتو زعلانين من بعض في حاجة؟

صمتت (هيام) كثيرا وهي تفكر فيما ستقوله جيدًا حتى لا تتسبب في شجار في هذا الصباح الرائق، ثم قالت:

ـ لا يا حبيبتى أبدًا مش متخانقين ولا حاجة، هو بس اليومين دول عنده ضغط شغل وبيرجع متأخر فمحبش إني أكون قاعدة في البيت لوحدى طول اليوم فقالى آجى أونسك شوية، واهى كلها يومين يخلص شغله واريحك منى يا ستى طالما قعدتى معاكى ضايقتك.

ـ الله يسامحك يا بنتى، اوعى تقولى كدة تانى، أنا بس عاوزة اطمن عليكى انتى وجوزك، ربنا يهدّي سركم ويرزقكم بالذرية الصالحة.

ـ يا رب يا أمى

أنهت فطورها ثم قبّلت يد والدتها وفرّت إلى غرفتها، أوصدت الباب جيدًا قبل أن تهاجمها الدموع، كانت تبكي على ما فات من عمرها مع (أسامة)؛ في سنوات الزواج الأولى كان يهتم بها كثيرا ودائما كان هو من يتذكر التواريخ الهامة التي مرت بينهما، ولكنه منذ أنهى الدكتوراه وأصبحت مواعيد عمله حتى أوقات متأخرة من الليل وهو لا يتذكر سوى تاريخ زواجهما بعد أن تشير هى إليه بشكل غير مباشر، أما باقى المناسبات فأصبحت تمر عليه مرور الكرام.

***

٤

الساعة السابعة مساءً

ارتفع صوت هاتفها المحمول وظل رنينه يتصاعد حتى جاءت من الصالة وأجابت المتصل بأنها ترتدى ملابسها وفى الطريق إليهم، أنهت المكالمة وأخرجت بعض الملابس ووضعتها على الفراش الخاص بها لتختار من بينهم ما سوف ترتديه بعد قليل في اللقاء الذي سيجمعها مع بعض أصدقائها في النادى، تفحصتهم جميعا بعناية شديدة حتى استقرت على فستان أسود قصير إلى أسفل الركبة بقليل ومن أعلى يُظهر أكثر مما يخفى.

قبّلت (هيام) والدتها قبل أن تهرب من أمامها لعلها لا تعطى تعليقا على الفستان الذي ترتديه، وسط استنكار شديد من والدتها التي لم تستطع أن تفعل أي شيء حتى سمعت صوت الباب يغلق وهي تقف تنظر إليه وعلى وجهها علامات استغراب شديدة، فيما نزلت (هيام) درجات السلم ببطء شديد كيلا تلتوى قدمها بسبب الكعب الذي ترتديه حتى وصلت إلى سيارة الأجرة التي كانت تنتظرها أسفل البناية.

انطلقت السيارة حتى وصلت إلى أحد النوادى الشهيرة بمنطقة المعادى، توقفت أمام باب النادى ونزلت منها واقتربت من البوابة الخاصة بدخول الافراد وأظهرت كارنيه العضوية لفرد الأمن فأتاح لها الدخول، سارت في ممر طويل حتى وصلت إلى المكان المخصص للجلوس حول حمامات

السباحة، تبادلت القبلات والأحضان مع أصدقائها ثم جلست وبدأت جلسة من جلسات النميمة بينهم استمرت قرابة الساعتين، ثم لاحظت إحدى صديقاتها أنها توقفت عن الكلام واتجه نظرها إلى مكان تراك الجري المجاور لموضع جلوسهم، وعندما نظرت في نفس الاتجاه وجدت شابا في منتصف العقد الثالث يحمل حقيبة صغيرة يخرج من التراك متوجهًا ناحية باب الخروج مرورا بهم، وعندما لمح (هيام) حياها بإيماءة وابتسامة بسيطة ثم انصرف في هدوء.

أكملت (هيام) جلستها معهم ولكن عقلها كان في مكان آخر تماما، لاحظت إحدى صديقاتها ذلك ولكن لم تُرد أن تتدخل فيما لا يعنيها، استمرت جلسة النميمة وقتًا قصيرًا بعد هذا الموقف ثم انصرفت (هيام) وفضّلت أن تسير على قدميها رغم أنها ستتألم كثيرا بسبب الكعب الذي ترتديه، فكرت كثيرا في ذلك الشاب الذي أسرها منذ اللحظة الأولى التي شاهدته بها عند باب البناية التي تقطن بها؛ رب صدفة خير من ألف ميعاد، كانت هذه الجملة تتردد في عقلها كثيرا حتى سمعت صوت مكابح مرتفعة جدا، ارتعبت بسبب قرب صوت احتكاك الإطارات بالأرض، والتفتت لتجد سيارة على مقربة شديدة منها، بل كادت تصطدم بها وأخذ السائق يسبها باقذر الالفاظ بسبب عدم وعيها وهي تسير في منتصف الطريق بهذه الكيفية.

بعد قرابة النصف ساعة كانت قد وصلت إلى المنزل، دلفت سريعًا إلى غرفتها وبدلت ملابسها ثم جلست على الفراش وفتحت حاسوبها لتبحث عن هذا الشخص الغامض على الفيس بوك، لكنها لم تكن تعرف عن ماذا تبحث، فهى لا تعرف اسمه ولا رقم هاتفه، لكنها ظلت تبحث علها تجد له سبيلًا خيرًا من الصدفة التي لم تستطع أن تستغلها في كلتا المرتين؛ شيء بداخلها كان يخبرها أنها ستلقاه مرة أخرى، ولكن في هذه المرة لن تجعل الأمر يمر عليها مرور الكرام، ولا بد أن تعرف على الأقل اسمه وأين يقطن، خاصة أنه في الغالب يسكن في نفس المنطقة التي تسكن فيها.

ظلت تبحث طويلا ولكنها لم تجد ضالتها، دخلت صفحات صديقاتها لتبحث في الأصدقاء الموجودين لديهن علها تجده مصادفة عند إحداهن، ولكن خاب املها، فأغلقت الحاسوب وجلست تقرا إحدى الروايات التي وجدتها بالغرفة؛ ظلت تقرأ حتى غلبها النعاس فوضعت الرواية ونامت بعد أن حولت الهاتف إلى وضع الصامت كما هى عادتها.



٥

صداع شديد وألم بالرأس كانا سببا في استيقاظه من نومه وعلامات الغضب تملأ وجهه، غسل رأسه بماء بارد ليخففه دون جدوى، ارتفع صوت رنين الهاتف فعاد إلى غرفته ليجد المتصل صديقة قديمة لم يلتقيا منذ فترة، لم يرد في المرة الأولى ولكن عندما ارتفع صوت الرنين ثانية همّ بالرد قبل أن ينقطع التيار الكهربي في جميع ارجاء الشقة، فابتسم بسخرية وهو يجيبها:

ـ منورة الدنيا والله يا (سلمى)

ـ ما هو باين ياسي (مصطفى)، لا سلام ولا كلام خالص كدة، ولو مسالتش أنا عليك متسالش عليا

ـ معلش انتى عارفة إني من ساعة ما خرجت من الخدمة وأنا مكنتش متظبط نفسيا ومكنتش حابب إني اتواصل مع حد

ـ أيه دا أنت سيبت الجيش؟؟

ـ انتى متعرفيش ولا أيه؟

ـ لا محدش قالى واحنا بقالنا فترة مبنتكلمش

ـ آها يا ستى سيبت الخدمة بقالي حوالي سنتين وقاعد في البيت أهو لا بهش ولا بنش يا دوب بنزل التمرين بتاعى في الجيم وانزل أجري شوية وارجع، غير كدة مفيش؛ وعمال بدور على شغل في الحراسات الخاصة بس لسة مش لاقى حاجة مناسبة

ـ ربنا يعوضك خير إن شاء الله، طيب أيه مش هنشوفك ولا أيه؟

ـ مفيش مشكلة شوفى انتى فاضية امتى وعرفينى

ـ أنا عاملة عيد ميلادى يوم الخميس الجاى في كافيه على النيل، أيه رأيك تيجى تغير جو ونقعد مع بعض شوية، احنا بقالنا كتير متقابلناش ووحشتنى القعدة معاك

ـ خلاص ربنا ييسر الاحوال، قبلها بيوم بس ابعتيلى رسالة أو اتصلى بيا فكرينى وأنا هكون موجود باذن الله

أنهى المكالمة ثم جلس وسط الظلام وهو يفكر في الأيام التي قضاها بصحبة هذه المجموعة من الأصدقاء، كانت الابتسامة لا تفارق ثغره، كانت الأموال تجرى بين يديه كما تجرى المياه في الانهار، كان الناس يتمنون التقرب إليه ولو قليلا حتى يناهم من الحب جانب، كانت أيام لا يريد أحد لها أن تنتهي ولكن لا سبيل لعودتها ما دامت السلطة التي كان يمتلكها قد فارقته، لكنه يعلم أنه سيعود من جديد إلى مجده وإن كان هذا المجد في مخيلته فقط.



15

الخميس ... الساعة الواحدة ظهرًا

انتصف النهار وبدأت (هدى) في تنظيف العيادة وإعداد غرفة الكشف قبل أن يأتى (أسامة)، وضعت مجموعة من الكتب والروايات الجديدة بدلا من تلك التي كانت موجودة خلال الاسبوع الماضى، أنهت كل الترتيبات حتى أتت أولى الحالات لهذا اليوم. بدأت تُعد قهوة (أسامة)، فقد اقترب موعد وصوله، ثم وضعتها على المكتب وهمت بالخروج لتجده يقف على باب الغرفة مبتسمًا:

ـ دايما مواعيدك مظبوطة يا (هدى)، ودي أكتر حاجة مخلياني متمسك بوجودك معايا في العيادة

ـ حضرتك اللي دايما مواعيدك مظبوطة يا دكتور، تحب أدخل أول حالة لحضرتك ولا لما تشرب قهوتك الأول كالعادة؟

ـ لأ كالعادة. احنا عندنا عدد حالات قد أيه انهاردة؟

ـ عندنا 4 حالات بس انهاردة

ـ ممتاز علشان ورايا مشوار مهم عاوز اروحه بعد ما أخلص

خرجت من غرفة الكشف وأغلقت الباب خلفها، جلست على مكتبها وقامت بتشغيل موسيقى هادئة لتعم العيادة حالة من الهدوء، تبعها رنين جرس (أسامة) فأشارت لأولى الحالات بالدخول إليه.

ظل (أسامة) يعمل لفترة تجاوزت الساعات الخمس، ينهى حالة ثم يتبعها بأخرى، ومع دخول كل مريض جديد إليه يبدّل وجهه لتظهر ابتسامة مشرقة تدعو الآخر إلى التفاؤل والراحة النفسية، بينما يشعر هو بالإرهاق مع مرور الوقت؛ لكن ما يجعله يستمر في هذا العمل هو عشقه لتخصصه ومحبته الكبيرة لمساعدة الناس. أنهى الحالات الموجودة لديه في هذا اليوم ثم انصرف وترك (هدى) تعيد ترتيب العيادة مرة أخرى وتغلق النوافذ جيدًا.

فى طريق نزوله إلى سيارته ارتفع صوت الهاتف مع اهتزازه فنظر إلى اسم المتصل ثم قام بتحويل الهاتف إلى الوضع الصامت وركب سيارته وانطلق وهو يدندن.

فى طريقه اتصل بالسمسار ال مسئول عن ترتيب اللقاء مع مالك الشقة وأخبره أنه سيأتيهم خلال نصف ساعة على الأكثر ثم أغلق الهاتف ورفع صوت الموسيقى فبدأت نجاة ترسل صوتها الشجى

" بس وحياة اللي فات واللى أصبح ذكريات، عمري ما حبيت ولا اتمنيت غيرك أنت يا حبيبى يا حبيبى "

ظل يدندن طوال الطريق مع نجاة حتى وصل إلى ميدان العباسية، صف السيارة في مكان الانتظار ثم إتجه إلى البناية وصعد إلى الشقة فوجد السمسار بإنتظاره، تجول داخل الشقة وكأنه يتأكد من صلاحيتها، ثم خرج إلى الشرفة

يتأمل الميدان وينظر في كافة الاتجاهات ليرى الأماكن المحيطة به بشكل جيد، قبل أن يخبره السمسار بأن مالك الشقة قد وصل. جلسوا للتفاوض، ولم يدم الحوار طويلا حيث اتفق (أسامة) مع المالك على كافة التفاصيل ونقده مبلغًا من المال كجزء من ثمن الشقة، وتم توقيع العقود واتفق الطرفان على إتمام سداد المبلغ مع تسجيل العقد، ثم انصرف بعدما نقد السمسار عمولته واتجه إلى منزله.

***

الخميس الرابعة عصرًا

أنهى (مصطفى) تناول غدائه، ثم قام يرتدي ملابسه الرياضية وحمل حقيبته ثم توجه إلى الكافيه الذي أخبرته (سلمى) عنه؛ وصل قبل أن تأتي ومن معها، فأخذ يمسح المكان بعينيه حتى استقر على طاولة على مقربة من النيل فجلس إليها وطلب عصيرًا طازجًا. وضع قدمه على السياج أمامه وأخرج هاتفه، وارتدى سماعات الأذن وبدأ يدندن مع الموسيقى التي يسمعها، ثم فتح صفحته على فيس بوك ليرى ما جديد هذا اليوم؟، تصفح المنشورات على الصفحة الرئيسية دون أن يضغط إعجاب على أي منها، فهو دائما ما يحب أن يراقب دون أن يلاحظه أحد، استمر لفترة هكذا حتى شعر بيد توضع على

كتفه فالتفت في حدة ليرى من الذي تجرأ ليفعل هذا، ليجد (سلمى) تقف خلفه وعلى وجهها ابتسامة تملأ وجهها حتى بانت نواجذها.

ـ لسة زى ما أنت مبتحبش حد يحط ايده على كتفك، هيفضل حسك الأمنى دا ملازمك كدة دايما، يا ابنى فكها شوية بدل ما تكسر لحد ايد ولا رجل وفى الآخر يطلع بيهزر معاك

ـ ولما انتي عارفة إني ممكن اكسرلك ايدك برضه بتحطيها؟

ـ ما أنا عارفة برضه إنك هتبص الأول تشوف مين اللي اتجرأ وعمل كدة قبل ما تكسرله ايده، ولو إني مش ضامنه رد فعلك بما إننا متقابلناش بقالنا كتير.

تبادلا السلام ثم جلست بجواره على الطاولة ودار بينهما حوار طويل تسائلا فيه عن الأحوال وعما مر به كل منهما في الفترة الماضية، أخبرته انها تزوجت ثم انفصلت عن زوجها وأنها الآن تعمل في إحدى شركات الديكور، مر بعض الوقت حتى ارتفع صوت هاتفها فأجابته لتوجّه القادمين إلى مكانهما، وبدأ بعض الأصدقاء في الحضور، فتركت (مصطفى) وذهبت لترحب بهم.

أعد العاملون في الكافيه بعض الطاولات استعدادا للاحتفال، ووضعوا الحلوى والهدايا والمشروبات، ثم أتته (سلمى) لتدعوه للاقتراب والانضمام معهم.

عاد وهو يضحك معها حتى اقتربا من الطاولات وجلسوا جميعا يضحكون

بينما انزوت هى إلى أحد الجوانب لتجيب هاتفها بعيدا عن الصوت المرتفع حتى تسمع المتصل جيدا

ـ أيه يا بنتى فينك؟ احنا كلنا موجودين ومستنيينك

ـ أنا خلاص قربت عليكم أهو، أنا عند مستشفى السلام الدولى، أقل من خمس دقايق واكون عندكم

ـ طيب تمام مش هخليهم يبدأو إلا لما تيجى

انهت (سلمى) المكالمة ثم عادت إلى التجمع تخبرهم أن (هيام) في الطريق. زمجر البعض من تأخرها عن الموعد، ولكن قبل أن يبدى البعض الآخر امتعاضه ظهرت كنجم متلئلئ في سماء صافية، ترتدى فستانًا أسود أسفل الركبة بقليل، تحمل في يدها حقيبة هدايا كبيرة وترتدى حذاء بكعب عالٍ جعلها تبدو كحورية من حوريات الجنة. أطلق أحد الجلوس صافرة إعجاب طويلة جعلت كل من يلتف حول الطاولة يذهب بعينيه تجاه من أتى، اقتربت منهم وهي تلوح بيدها حتى احتضنت (سلمى) وهي تهنئها بعيد مولدها ثم أعطتها الهدية وبدأت تحي الجميع كلٌ باسمه، حتى توقفت عيناها وعليها علامات الدهشة عندما رأت (مصطفى) أمامها، نظر إليها بود وحياها على صوت (سلمى) وهي تقوم بتعريفهما بعضهما البعض. بدأت الأغانى ومعها بدأت التهنئة من كل الحضور مع اقتراب النادل بكعكة عيد الميلاد المضاءة

بالألعاب النارية، وبعد قرابة الساعة نظر (مصطفى) إلى ساعته ثم استأذن الجميع بعد تقديم هديته إلى (سلمى) وانصرف بينما أحدهم قد ذهب عقله معه دون أن يدري.

***

الأحد ... التاسعة صباحا

أصوات متداخلة تأتي من ناحية المصعد، ترحيب شديد وأصوات أقدام تتجه نحو مكتب (محمود)، وقفت السكرتيرة بعدما أبعد رجال الأمن الموظفين عن الشخص القادم، ترحيب حار مع ابتسامة ملأت وجه العاملين بالمكتب بعد رؤية (ناهد)، تقدمت السكرتيرة تجاهها تصافحها بحرارة ثم أخبرتها أن (محمود بيه) في انتظارها بمكتبه، اقتربت من الباب وطرقته برقة ثم فتحته وأخبرته بقدوم الأستاذة (ناهد) فأمر بدخولها فورًا. رحب بها بحرارة وقبّل يدها بدبلوماسية ثم دعاها للجلوس على أحد المقاعد المريحة بجوار مكتبه وجلس أمامها بعدما طلب فنجانين من القهوة الفرنسية وطلب عدم الإزعاج لحين الانتهاء من هذا اللقاء.

تبادلا التحية ثم الديباجة المعتادة في كل لقاء بالسؤال عن الأحوال الشخصية والعمل وأهم التطورات السياسية والاقتصادية في الآونة الاخيرة، مرت دقائق قليلة أذن بعدها (محمود) لطارق الباب بالدخول، فظهر عامل البوفيه

وقد أحضر القهوة ووضعها على المنضدة القريبة منهم ثم انحنى وخرج.

ـ أعتقد انتى النهاردة مش منورة مكتبى المتواضع دا لمجرد إنك تشربى القهوة معايا، طبعا دا يزيدنى شرف بس أحب أعرف سبب الزيارة الجميلة دى

ـ عارف يا (محمود) أكتر حاجة بحبها فيك ايه، إنك ذكي ولماح، دايما بتفكر في اللي جاى وبتحاول تكون سابق اللي قدامك بخطوة، بجانب إنك شخص اجتماعى جدًا ومحبوب في وسط رجال الأعمال ودي حاجة من الصعب تحصل في الوقت الحالى، مع شخصيتك القوية واللى بحسها شوية سادية في التعامل، بجانب المنافسة الشرسة اللي بينك وبين منافسينك خاصة اللي بيدخلوا قدامك في المناقصات الكبيرة.

ـ طيب ويا ترى بعد الديباجة الجميلة دى قدرت ألفت انتباهك علشان تتكرمى عليا بإجابة تشبع فضولى؟

ـ أكيد، بص يا سيدي أنت عارف أني بعمل مجموعة من التقارير الاعلامية عن كبرى الشركات اللي بتوفر فرص عمل في البلد، عشان في الفترة الجاية في تقرير مهم جدًا هيتعمل عن أهم الشخصيات المؤثرة على المستوى المحلى والعربى والعالمى، وأكيد أنت عارف إنك من ضمن الشخصيات اللي مترشحة بقوة، خاصة بعد المجهود الجبار اللي بتبذله في سبيل إنك تعلي كفاءة العاملين في قطاع الشركات عندك. بس بحكم صداقتنا اللي بقالها فترة طويلة

واللى بتحتم عليا أوجهلك نصيحة لما اشوف حاجة ممكن تهدد نجاحك دا ولو بنسبة 1٪، فأنا جاية أعرفك أن حصولك على لقب شخصية العام السنة دى مهدد بعد ظهور شركة منافسة ليك وفى نفس التخصص، قدرت توفر فرص عمل أكبر بجانب أنها بدأت تحصل على مناقصات كتير الفترة اللي أنت توجهت فيها في التوسعات الخارجية.

استطاعت (ناهد) أن تلفت نظره بشكل كبير وتجعله يركز مع كل تفصيله تخبره بها، ظل في حالة من الصمت لعدة ثوانى ثم أومأ لها برأسه لتكمل حديثها وهو يصغى لها بكل إهتمام

ـ المفروض خلال فترة التوسعات اللي كنت بتعملها دى كنت تخلى حد متابع السوق معاك عشان تعرف لو في حد جديد ظهر معاك ولا لسة أنت اللي مسيطر، بس في الغالب أنت مأخدتش بالك من الموضوع دا بحكم أن بقالك فترة مفيش حد قادر يقف قدام الجهود الكبيرة اللي بتعملها، فبالتالى لما ظهر حد جديد أنت ما أخدتش بالك

ـ مين الحد دا؟؟

ـ (الهادى)، (محمد الهادى)، شاب طموح درس في إنجلترا إدارة الأعمال ولما رجع مصر اشتغل فترة طويلة في مجال المقاولات رغم أنه مش تخصصه، بس قدر يفتح لنفسه سوق ويبني اسم كويس في الكام سنة اللي فاتت، اشتغل

تحت ايد ناس كتير من عمالقة السوق علشان كدة مكانش ظاهر اوى على الخريطة بتاعتك، يمكن تكون اتصادفت بيه في أي لقاء من اللقاءات الصحفية أو في مؤتمر من المؤتمرات اللي بتحضرها بس محستش بوجوده لانه غالبا كدة كان عامل زى الضل، موجود بس متحسش بوجوده. في الخمس سنين اللي فاتو قدر يفتح شركة (الهادى) للمقاولات العمومية ورسيت عليه أول مناقصة دخل فيها، كل الناس كانت مستغربة إزاي المناقصة دى رسيت عليه رغم أنه ملوش سابقة أعمال، واللى كان محير الناس أكتر إنك مكنتش داخل المناقصة دى.

ـ أكيد دى كانت المناقصة اللي في 2004 بتاع الكمباوند اللي على الصحراوى

ـ بالظبط كدة، وهو بالفعل قدر ينفذ أكتر من 50٪ من الشغل قبل الميعاد المتفق عليه بفترة مش قليلة وبكفاءة عالية، وفى نفس الوقت قدر يوفر فرص عمل كبيرة جدًا للشباب وبالأخص حملة المؤهلات فوق المتوسطة ودول شريحة كبيرة جدًا في المجتمع في الوقت الحالى، في حين أنت بقيت بتركز على أصحاب المؤهلات العليا بس ودا هنا يديله هو أفضلية في إنه ياكل الجو منك، بجانب إنه داخل قدامك في المناقصة الجاية بتاع قطاع الشركات اللي في السويس تبع الحكومة، يعني لو قدر ياخد المناقصة دى كدة يبقى أنت السنة دى هتقعد تتفرج على إنجازاته اللي هو حققها وبس.

ـ طيب أنا عارف أن في بينا صداقة عمرها سنين، وإننا اتعاونا مع بعض في حاجات كتير كانت ناجحة، بس معتقدش أن الصداقة بس هى اللي تخليكي تقوليلي كل المعلومات اللي انتى بتقوليها دى، خاصة إنك جايبالى كل حاجة بالتفاصيل الدقيقة، من الآخر كدة عاوزة أيه؟؟

ـ مش بقولك بحب فيك نباهتك

ـ عاوزة كام مقابل الحملة الدعائية اللي هتعمليها في القناة عندك؟

ـ أنت!!

ـ نعم؟؟

ـ عاوزاك انت، أيه مستغرب ليه؟ سمعت عنك حكايات كتير ونفسي أتخطى مرحلة الصداقة، فيها مشكلة بالنسبة ليك؟

ـ بس أنا معنديش استعداد أتجوز، خصوصا أن لا وقتى ولا شغلى هيسمحوا لي أكون مرتبط بحد يفضل يقولى رايح فين وجاى منين وبتعمل أيه وبتقابل مين

ـ وأنا مطلبتش منك تتجوزنى، أنت عارف إني لو عاوزة اتجوز أول ما انزل من المكتب عندك هنا هروح على الماذون على طول وألف مين يتمنى، بس أنا مش عاوزة جواز، أنا كدة حرة نفسي أفضل.

ـ مش فاهمك يا (ناهد)؟

ـ محبكش وأنت بتحاول تختبر ذكائي يا (محمود) بيه، عامةً العرض قائم لحين بداية الحملة الدعائية بتاعتك، واليوم اللي الحملة هتبدأ فيه لو أنت مردتش عليا هعتبر إنك رفضت عرضي وهتعامل بيزنس بس، آها وعلى فكرة القهوة حلوة أوى بس أحب المرة الجاية نشربها عندى

أنهت جملتها الاخيرة ثم تبعتها بغمزة من عينيها إلى (محمود) الذي تحرك من مكانه تجاه الباب وهو يسير خلفها حتى غادرت المكتب، وعند عودته وجد ملفًا تم وضعه بعناية مكتوب على غلافه الخارجى (محمد محمد الهادى) ويحتوي على العديد من الأوراق، أدرك أنها تركته له لتستفزه لأقصى حد، وبالفعل استطاعت أن تنال مبتغاها الأول، بينما عرضها ما زال يحمل بين طياته الكثير.



II

صوت طرقات واحتكاك شيء معدنى يرتفع رويدًا رويدًا، اهتزاز الإضاءة يبعث الرعب في النفوس، صوت أقدام تقترب ببطء مخيف، صوت أنفاس متداخلة تصدر من كل الغرف المغلقة، دقات عقارب الساعة تثير القلق بشكل مستفز، يمر صاحب الزي الرسمى بكل غرفة، يفتح النافذة الصغيرة التي صنعها بكل الأبواب الموصدة خصيصًا ليرى فرائسه وهي تتلوى من الألم دون أن يشاركهم الغرفة. مر بغرفة تلو الأخرى حتى وصل إلى الغرفة رقم (3)، وقف أمام الباب قليلا ثم رفع قطعة من المعدن ليطرق على الباب بشكل همجى جعل كل من بالغرف المجاورة يفزعون. ارتفع صوت البكاء والنحيب بشكل كبير، بينما ظلت الغرفة التي يقف أمامها غارقة في صمت تام. اقترب من الباب بشكل أكبر ثم قام بفتح النافذة ونظر إلى الداخل فعلم أن صاحبة الغرفة قد فقدت الوعي من شدة الألم، فأغلق النافذة ثم توجه إلى محبس قريب من الباب وفتحه بهدوء شديد، أخذت الصرخات تتعالى من الغرفة، كلما قام بفتح المحبس بشكل أكبر ارتفع الصراخ أكثر حتى أصبح الصراخ يصم الآذان. أغلق المحبس الأول ثم بدأ في فتح المحبس الذي يليه، بدأ الصراخ في الهدوء وارتفع صوت سعال شديد؛ ترك المحبس مفتوحا قرابة الثلاث دقائق ثم قام بإغلاقه وأخذ يسير في الممر بين الغرف وهو يطرق بقطعة المعدن التي يحملها على كل الأبواب الموصدة، استغرق منه الأمر عشر

دقائق بالتمام والكمال وصل بعدها إلى باب الغرفة رقم (3) مرة أخرى، ففتح الباب وولجها مرتديًا قناع للتنفس على وجهه، ما أن دخل حتى بدأت رائحة إحتراق الجلد في الانتشار في الممر، أغلق الباب خلفه وضغط زر الاضاءة فبدأ الضوء في الاهتزاز مثلما حدث في الممر قبل قليل. هبط درجتى سلم حتى وصل إلى أرضية الغرفة التي يبدو من حركته فيها أنها تمتلئ بالمياه، تلفت حوله يتابع بنظره الرشاشات المنتشرة في كافة أنحاء الغرفة، في منتصف الغرفة كانت نائمة على جانبها الايمن في وضع الجنين ولا يوجد على جسدها سوى ما يوارى سوأتها، ترتجف من برودة المياه ويمتلئ جسدها بالحروق من أثر حمض الكبريتيك المركز الذي يقوم بضخه عن طريق الرشاشات الموجودة بالغرفة؛ صوت تسرب غاز من أحد المواسير الموجودة في أعلى الغرفة، تبدأ نوبة أخرى من السعال وتظهر بعض الزرقة على شفتيها وعلى أجزاء كثيرة من جسدها بسبب قلة تدفق الاكسجين وامتلاء الغرفة بغاز أول اكسيد الكربون الذي يمنع وصول الاكسجين إلى الدم والذي يصيب القلب والاعصاب بشكل مباشر. تابعها للحظات ثم بدأ يركلها بقدمه فسمع أنّاتها الخافتة بسبب شدة الإرهاق الذي تمر به، انحنى حتى اقترب فمه من أذنها ليسألها بصوت كفحيح الأفعى:

ـ مبسوطة؟ حاسة أن مفيش منك؟ أخدتى منه اللي انتي عاوزاه؟ متقلقيش أنا

لسة بفكرلك في حاجات كتير هبهرك بيها، أنا بس بجهزك للمرحلة الجاية واللى ساعتها هتتمنى الموت أفضل من إنك تفضلى في اللي هيحصلك ثانية واحدة، شايفة الكلّابات اللي في أخر الاوضة دى، شايفة السنون الموجودة فيها، عارفة دى هتبقى مغروسة فين؟ عارفة الألم اللي بتسببه بيكون عامل إزاي؟ عارفة أنا هدهن السنون دى بإيه قبل ما تتغرس في جسمك؟؟ طيب عارفة الغاز اللي انتى بتشميه دا هيعمل أيه في أعصابك لحد ما أجيلك في الزيارة الجاية.

أنهى كلماته ثم استقام وأخذ يسير في الغرفة ذهابا وإيابا قبل أن يخرج ويغلق الباب خلفه، ثم فتح المحبس المخصص لحمض الكبريتيك المركز وبدأ يستمتع بصوت الصرخات المرتفعة الآتية من الغرفة. اقترب من المحبس ثانية وهم بإغلاقه قبل أن تظهر على شفتيه ابتسامة خبيثة تبعها بنظرة إلى الغرفة ثم تحرك إلى نهاية الممر بعد أن أغلق المحبس وخرج وعلى محياه ابتسامة انتصار كمن خرج للتو من حرب هلك فيها كل من في الأرض، بينما أصبح هو الناجى الوحيد!!!

***

صباح يوم جديد، بدأت حرارة الشمس تستفز (أسامة) حتى استيقظ من نومه وظل مستلقيا في مكانه قليلا، تحرك إلى المطبخ وأخذ كوب القهوة الذي

أعده ثم اتجه إلى غرفة المكتب، وفى طريقة سمع صوت الهاتف يرتفع فأحضره معه بعد أن ألقى نظرة سريعة على المتصل. وصل إلى غرفة المكتب فجلس وبدأ يقلب الأوراق الموجودة أمامه بعدم اهتمام حتى ارتشف أولى قطرات القهوة، مرت دقائق قليلة بعد احتسائها كانت كفيلة بتنشيط خلايا عقله، فنظر إلى أحد الملفات الموجودة على المكتب ومكتوب عليه بخط عريض "الناصر للمقاولات ".

قرأ كل معلومة استطاع أن يجمعها عن الشركة منذ تأسيسها حتى الوقت الراهن، وجد بعض النقاط الغامضة التي وجب وضع علامات استفهام عديدة عليها والتي لم يجد لها حلولا، ولكن الفضول دفعه إلى الموافقة على العرض المقدم من (محمود). لملم أوراقه ووضعها داخل الملف الذي أخرجها منه ثم أودعه أحد ادراج المكتب؛ فتح حاسوبه الشخصي وأعد بلاى ليست لأغانيه المفضلة وقام برفع الصوت ثم خرج إلى الشرفة يتأمل الأماكن المحيطة به وهو يبتسم ويفكر فيما هو آتٍ.

ظل على هذه الحالة قليلا ثم عاد إلى المكتب وأمسك الهاتف وكتب رقما يحفظه عن ظهر قلب وضغط الاتصال فظهرت صورة (هيام) مع اسمها، انتهى الرنين ولم يأته الرد فأعاد الاتصال ولكن لا حياة لمن تنادى. أعاد الهاتف إلى المكتب وجلس على المقعد أمام "اللاب توب" وفتح الملف الذي يكتب به

مذكراته، وبدأ يدون بعض الامور التي يعتقد أنه سوف يحتاجها فيما بعد ويعلم يقينا انها ستكون نقطة تحول في مجرى حياته خلال الأعوام المقبلة.

أنهى كتابته بعد ساعة، فارتدى ملابس رياضية ونزل إلى كورنيش النيل وبدأ يجرى وهو يستمع إلى الموسيقى التي يحبها حتى اشتدت حرارة الشمس وانتشرت حبات العرق على وجهه، فجلس ليستريح قليلا بعدما اعلنت رئتيه الاستغاثة بسبب التدخين؛ لمح سيارة أجرة تسير بإتجاه حلوان وشعر بدهشة شديدة عندما وجد (هيام) تجلس داخلها فأخرج الهاتف سريعًا ليتصل بها، لكن يبدو انها لا تريد أن تجيب بمحض إرادتها ولا علاقة لسماعها للهاتف بالأمر.

عاد إلى منزله، اغتسل ثم التقط أحد الكتب العلمية التي كان قد بدأ الاستعانة بها في تحضير المواد التدريبية الجديدة، جلس بمكتبه وأخرج هاتفه واتصل بمحمود يخبره أنه وافق على العرض المقدم منه، ولكن هناك بعض التعديلات البسيطة التي يود إضافتها، رحب (محمود) بالأمر وطلب أن يمره في مقر الشركة وسيكون في انتظاره رفقة (هيثم).

أنهى المكالمة وبدأ في التحضير من الكتب الموجودة أمامه، استغرقه التحضير فترة تجاوزت الخمس ساعات متواصلة شعر بعدها بإرهاق شديد ففضل أن ينال قسطا من الراحة ثم يعود مرة أخرى لينهى التحضير الأولي ووضع

الأفكار العامة التي سيقوم بعرضها على (محمود) في اليوم التالى، حاول الاتصال ب(هيام) أكثر من مرة ولكنها لم تجب فشعر بحيرة شديدة، ولكن بعد عدة دقائق أتته رسالة منها تخبره فيها بأن والدتها تمر بوعكة صحية وأنها ستكون برفقتها لعدة أيام ولا داعى للاتصال بها لحين عودتها وأنها ستخبر والدتها أنه حاول الاتصال بها ولكنها كانت نائمة. نظر إلى الرسالة باستغراب، لا يعلم ما الذي يحدث ولكنه على يقين أن كل هذا سينتهي قريبا.

***

كوب من القهوة تبعه بسيجار كوبى أيقظ كل الخلايا الخاملة في عقله، جلس في الشرفة ووضع الملف الذي تركته له (ناهد) بالامس على المنضدة وأخذ ينظر إليه مطولًا. (محمد محمد الهادى)، كان هذا الاسم يتوسط الورقة الأولى بالملف وكتب أسفلها بخط عريض " وشهرته (محمد الهادى). لا يعلم ما سر هذا القلق الذي انتابه بمجرد قراءة الاسم، هل هو مجرد تشابه في الاسماء أم ماذا؟ لأول مرة يشعر بأن مكانته التي لم يستطع أحد أن ينافسه عليها على وشك الانهيار، فبعد الاطلاع على شبكة الإنترنت وجد أن هذا الشخص يعمل منذ سنوات على البنية التحتية للمؤسسات والشركات الكبرى لكنه لم يكن يعمل باسمه المباشر وإنما لحساب أشخاص أصحاب نفوذ، ويبدو أنه حصل على مبتغاه واستطاع أن يؤسس لنفسه شركته الخاصة في مجال

المقاولات والتشطيبات، ولكن ما أثار حيرته أن هذا الاسم يبدو مألوفا بشكل كبير!!!

ظل هذا الهاجس يسيطر عليه فبدأ في الاطلاع على الأوراق الموجودة بالملف واحدة تلو الأخرى، وكلما انتهى من واحدة بدأت علامات الامتعاض تظهر على وجهه، مر الوقت دون أن يشعر، حتى ارتفع رنين الهاتف بجواره؛ نظر إلى اسم المتصل فازداد ضيقه، ثم نظر إلى الساعة فوجد أنه ظل على حالته هذه أكثر من ساعتين ونصف الساعة، صمت الهاتف بعد انتهاء الرنين، وبينما يحاول العودة للملف مرة أخرى إذ بـ (أسامة) يتصل به فرد على الفور:

ـ أهلا أهلا يا دكتور، صدقنى كنت لسة على بالى

ـ دا شرف ليا يا بشمهندس

ـ ها طمنى في أخبار جديدة عن موضوعنا؟

ـ آها إن شاء الله هعدى على حضرتك بكرة في المكتب ومعايا ملف فيه كل الحاجات اللي أنا هحتاجها علشان نبدأ نشتغل على البرنامج اللي حطيته بعد ما هناقش تفاصيله مع حضرتك.

ـ إن شاء الله مش هيكون في اختلاف في أي حاجة طالما كله هيكون في المصلحة العامة.

ـ خلاص تمام هكون عند حضرتك الساعة عشرة الصبح

ـ وهو كذلك

أنهى مكالمته مع (أسامة) وارتسمت على قسماته ابتسامة خففت من وطأة التوتر الذي ألّم به منذ زيارة (ناهد) في الشركة، تناول الملف الذي أمامه مرة أخرى، أخذ يتفحصه بدقة شديدة وكأنه يراجع معلوماته قبل ليلة إمتحان عصي لم يعلم عنه شيئًا حتى قبل موعده بليلة واحدة!

مر الوقت ولم يشعر به إلا عندما سمع جرس الباب، فتحرك من مكانه وذهب ليجد البيتزا التي طلبها، نقد عامل التوصيل حسابه، ثم شرع يأكل طعامه بتلذذ شديد أنساه كل ما كان يمر به من ضيق منذ دقائق قليلة.

أتاه صوت رسالة على هاتفه المحمول فتفقده ليجد رسالة من (ناهد) تحتوى جملة واحدة فقط

- (Check your Whatsapp)

لم يستطع كبح توتره، فأسرع يفتح التطبيق جديد الرسائل التي أتته مؤخرا، وجد رسائل من بعض الأصدقاء ورسائل تتعلق بالعمل، ولكن على قمتها كان إشعار برسالة جديدة تحمل رقم (ناهد)، بدأت علامات التعجب تظهر على وجهه وبدأ القلق يساوره، لا يعلم لماذا يخشى أن يفتح هذه الرسالة، يبدو أن هذا الأمر لن يمر على (ناهد) مرور الكرام وأنها لن تتنازل عما اشارت إليه في لقائهما الاخير، أخذ ينظر إلى الرسالة طويلا ثم تجرأ وقام بفتحها، وإذا

بمجموعة من الصور، انتظر قليلا حتى تم تنزيلها واطلع عليها لرتفع رنين الهاتف باسم (ناهد). تلفت حوله وكأنه يشعر بها تراقبه، لم يُجب في المرة الأولى ولكنها لم تمهله فرصة وأعادت الاتصال فأجابها:

ـ ممكن أفهم أيه اللي انتى باعتاه دا؟

ـ كنت حابة أخد رأيك تحب ألبسلك أنهي واحد فيهم لما نتقابل المرة الجاية

ـ وانتى أيه اللي عرفك إني هوافق على دا؟

ـ دى قدرات خاصة عند الستات، وأنت لو عشت فوق عمرك دا عمر تانى عمرك ما هتقدر تعرف احنا بنعرف إزاي، وبعدين أنت عاوز تفهمنى إنك بريء وعينك مبتركزش على كل تفاصيل جسمى لما بنتقابل، أشك!

ـ شكك مش في محله، وبعدين طالما انتى متأكدة أوى كدة إني مش بريء مش خايفة أبتزك بالصور اللي انتي باعتاهالي دى خصوصا إنك شخصية مرموقة ومعروفة كويس أوي؟

ـ لا من الناحية دى أنا متطمنة جدًا لأني عارفة كويس أوي أنا بتعامل مع مين، وعارفة إنك لو حابب تأذينى مش هتستنى لما أبعتلك صوري علشان تؤذينى بيها، أنت لو عاوز تعمل حاجة هتعملها حتى لو مفيش أي دليل إدانة عليا.

ـ لا شاطرة ومذاكرة كويس

ـ تلميذتك يا (محمود) بيه. ها تحب أنهي واحد فيهم بقا؟ أنا عن نفسي بفضل الأسود، رغم إني عارفة إنك بتعشق اللون الأبيض أكتر، بس متأكدة إنك هتحب الأسود عليا، مش كدة ولا أيه؟

ـ حد قالِّك قبل كدة إنِّك جريئة زيادة عن اللزوم؟

ـ بص هو أنا بحب فيك لباقتك في الكلام بس حاسة إنك مكنتش عاوز تقول جريئة، بس ماشي هعتبرها جريئة وهجاوبك، آها اتقالتلي كتير بس أنا لما بكون عاوزة حاجة مبتكسفش أقول إني عاوزاها

ـ بس مش شايفة أن الحاجة اللي انتى عاوزاها دى صعبة شوية

ـ صعبة ليه؟ أنت راجل لا متجوز ولا في حد يقولك بتعمل أيه مع مين وإزاي وليه، واللى أعرفه برضه أن أنت راجل صاحب مزاج وأنت عارف أن الكيف بيذل!

ـ طيب وانتي عرفتي مزاجي منين؟

ـ هو أنت فكرك إني مش عاملة ملف كامل ليك زى الملف اللي موجود بين إيديك دلوقتى عن (محمد الهادى)!

كانت هذه الجملة كفيلة بهد كل سبل التحصين التي كان (محمود) يبنيها طوال سنين عديدة، حاول أن يتمالك نفسه ويظهر بشكل متزن ولكن خانه القلق الذي بدى في صوته عندما عاد للحديث مرة أخرى

ـ تقصدى أيه بالملف اللي انتى عاملاه ليا دا؟؟ أنا كدة كدة مفيش حاجة ممكن تخلينى أقلق لأني ماشي سليم وكل أوراقى وشغلى قانونى، بالتالى مفيش حاجة تستدعى إني أقلق من أي حاجة

ـ بص يا (محمود)، أنا مش هختلف معاك أن معاك استاف كامل من المحامين الشاطرين جدًا واللى قدروا في فترة وجيزة جدًا يخفوا أي حاجة من ماضيك من كل السجلات الحكومية وحتى السجلات الخاصة، بس اللي أنت متعرفهوش أن لما الست تحب تجيب معلومة هتجيبها ولو كانت من العفريت الازرق، كل الداتا اللي موجودة قدامك حالا عن (محمد الهادى) أنا عندى زيها وأكتر منها عنك.

ـ طيب وأنا أيه اللي يخلينى مطمن أن بعد ما أعملك اللي انتى عاوزاه متغدريش بيا وتنشرى عنى حاجة كدة ولا كدة تدمر كل اللي أنا ببنيه؟

ـ يا (محمود) بيه أنا لو عاوزة اعمل كدة كنت عملته من زمان، بس دا مش في مصلحتى، أنا قلتلك على اللي أنا عاوزاه وأنت القرار في إيدك، حابب ترجع لمكانتك الطبيعية وتكتسح الكل أنت عارف أنا أقدر أساعد إزاي، عاوز تخسر كل حاجة بنيتها في السنين اللي فاتت بجرة قلم أنا معنديش أدنى مشكلة، وأنت عارف إن الميديا والصحافة ما هتصدق تلاقى كبش فداء تمسك فيه الفترة دى، خصوصا إن بقالنا كتير مفيش أي قضايا فساد ظهرت،

تخيل بقا كدة بعد ما كانت كل الصحف بتكتب عنك وتتكلم عن كم الإنجازات اللي أنت بتقدمها للبلد، هيقولو عنك أيه لما يشوفوا فيديو ليك وأنت في بار وسكران وعمال تقول كلام يودي في ستين داهية، ولا وأنت بترقص مع رقاصة شبه عريانة على مسرح في حي شعبي ولا وأنت نايم مع واحدة المفروض إنها السكرتيرة بتاعتك قدام الناس بس اللي محدش يعرفه إنك متجوزها عرفي. طب تخيل بقا كدة لما يعرفوا حاجة عن ابنك اللي أنت مسفره بره البلد وبتخليه يتعلم في أوروبا ومامته قالتله أن والده توفي في حادثة أول ما هو اتولد، تخيل بقا لما يعرف أن والده حي يرزق، لا وكمان أيه دا واحد من أشهر وأكبر رجال الأعمال في مصر والوطن العربى بل في الشرق الأوسط كله، عاوز بعد كل دا الولد ميرجعش في حضن أبوه!!

كانت كلماتها كالسياط ترتفع إلى أعلى ثم تهبط بشدة فتتسبب بألم لا يمكن احتماله، ظل يستمع إليها والقلق ينهش عقله، لا يعلم ما الذي تفكر فيه تلك الشيطانة، ولكنه بات على يقين أنه لا يستطيع أن يرفض لها طلبًا، على الأقل في الوقت الحالى. بدأت نبرة صوته تلين رويدًا رويدًا لاستمالتها، وحصر كم المعلومات التي تمتلكها ليعلم مدى المجازفة التي يوشك على خوضها، استمرت المكالمة قرابة النصف ساعة أدرك خلالها أنها تملك الكثير والكثير من الملفات التي يجب ألا تقع في طريقها أبدًا، ولكن ها هو القدر قد ساق

إليها كل ما تريد على طبق من فضة. أنهى معها المكالمة على وعد بالتواصل معها في القريب العاجل.

***

اقتربت الشمس من المغيب، وبدأ الأطفال يجوبون في الشوارع يلعبون ويهرولون، استيقظ (مصطفى) على صوت أحد الأطفال وهو ينادي صديقه ليذهبا معًا إلى لعب الكرة قبل أن يسدل الليل ستاره، لعن الكرة ولعن الأطفال ثم استيقظ وأخرج اللاب توب من حقيبته ووضعه أمامه على المكتب، فتح الإنترنت ليعلم ما الجديد في هذه الدنيا خلال الساعات القليلة التي نام فيها، وبينما هو منهمك في متابعة الاخبار سمع صوت اشعار على الهاتف المحمول فلم يعره اهتماما وأكمل ما بدأه منذ قليل.

لم تمر دقيقة حتى سمع إشعارًا آخر ثم تلاه آخر فأمسك بالهاتف ليرى من الذي يلح بهذه الكيفية ليرد عليه، وجد رسالة من فيس بوك بأن أحدًا من غير الأصدقاء قد أرسل إليه رسالة. في بداية الأمر لم يلفت الموضوع انتباهه، ولكن الفضول دفعه ليرى من هذا الذي يريد أن يحادثه ويلح بهذه الطريقة.

نظر إلى البروفايل الخاص به ثم قام بفتح الرسائل فوجد رسالة تحتوي على تحية وشخص يتمنى له يومًا سعيدًا، لم يركز في الاسم بينما شغله أن صاحب الرسالة يكتب واحدة أخرى الآن

ـ يا ترى هتعرف أنا مين ولا لازم أرخم عليك شوية

استطاعت الرسالة لفت نظره بشكل مستفز جعله ينظر إلى اسم المرسل، ولكن ما أثار غضبه أن البروفايل كان باسمٍ مستعارٍ فلم يعلم من الذي يراسله. أرسل ردًا مقتضبًا ولكنه يحث الطرف الآخر على الاستمرار في الحديث

ـ معلش مش واخد بالى، أنا أعرف حضرتك؟

انتظر قليلا حتى بدأ الشخص الآخر في الكتابة ولكن يبدو أن هذا الشخص يود اللعب باعصابه، فقد استمر في الكتابة فترة تزيد عن الدقيقة دون أن يرسل ما كتبه، توقف الشخص الآخر عن الكتابة ثم ظهرت رسالة قصيرة في نهاية الأمر أمام (مصطفى) مما زاد استفزازه بشكل أكبر

ـ أكيد عارفنى وإلا مكنتش بعتلك!

اعتدل في جلسته، فهو لا يعلم هل ستطول المحادثة أم يغلق الهاتف ويستعد لما ينوي فعله باقي اليوم. حاول أن يرتب كلماته حتى لا يبدو أن الشخص الآخر استطاع أن يستفزه، ولكن يا لحماقة هذا الأمر الذي يسمى التهور، بدأ (مصطفى) في الكتابة

ـ يا فندم لو أنا أعرف حضرتك زى ما بتقول أو بتقولي يبقى يفضل أعرف مين اللي بيتكلم وإلا هضطر أعمل لحضرتك حظر وأريح نفسي.

ـ آسفة لو كنت ضايقتك، أنا معرفش إن كلامي معاك هيخليك متضايق أوي كدة، على العموم أنا (هيام) صديقة (سلمى) اللي جيت في عيد ميلادها متأخر قبل ما حضرتك تمشى، أنا بعتذر مرة تانية لو كان كلامى معاك ضايقك، باي

***

أغلقت الهاتف وجلست على فراشها وهي تحمل كمًا كبيرًا من الغضب تجاه ذلك الرجل الذي استطاع أن يستفزها بتجاهلها، فأخذت تلعن حضورها حفل (سلمى)، ولكن عقلها لم يتركها هكذا دون أن يذكرها بمدى جمالها ذلك اليوم، فهدأت قليلا ثم تناولت هاتفها واتصلت ب(سلمى) لتخبرها أنها تشتاق إليها وتريد أن تجلس معها عندما يسمح لها وقتها، فأخبرتها الأخرى أنها ستكون في الكافيه مع نهاية اليوم ودعتها لتجلس معها وتؤنسها، رحبت كثيرا بالفكرة وأخبرتها أنها ستستعد وتكون موجودة في الموعد المحدد.

ارتدت ملابسها وأخذت تتحسس جسدها بروية وهي تنظر إلى المرآة، تأملت تضاريس جسدها طويلا حتى أفاقت من شرودها على صوت والدتها التي تخبرها بأن الغداء جاهز، فأجابتها أنها قادمة في الحال. أنهت ارتداء ملابسها

وجهزت حقيبة يدها ثم خرجت لتناول الغداء مع والدتها، قبل لقاء (سلمى).

***

السابعة مساءً – أحد الكافيهات الشهيرة بالمعادى

فى نفس المكان وعلى ذات الطاولة وجدت (هيام) صديقتها (سلمى) تجلس كما كان يجلس هو منذ بضعة أيام، فوقفت قليلا تتأملها حتى شردت فوجدت (سلمى) تلوح لها، ابتسمت وتوجهت إليها وعلى وجهها ابتسامة زائفة تحمل خلفها الكثير من التوتر الذي لا تعلم له سببًا.

ألقت التحية عليها وجلست تنظر إلى النيل وطال صمتها حتى بدأت (سلمى) الحديث:

ـ أيه يا بنتى مالك، مش طبيعية النهارده ليه؟

ـ مش طبيعية إزاي؟

ـ مش عارفة بس حاسة إنك متغيرة، قلقانة أو متوترة أو فى حاجة مضايقاكى.

ـ لا خالص إنت كنتي واحشاني بس ولما اتقابلنا من كام يوم وافتكرت المواقف القديمة اللي بينا كنت مبسوطة جدًا وقلت نتقابل ونقعد مع بعض شوية بما إننا ملحقناش نقعد كتير ساعتها.

شعرت (سلمى) أن هناك أمر ما تريد صديقتها الحديث فيه ولكنها لا تملك الجرأة لتبدأ، فحاولت أن تلطف الجو قليلا وبدأت تتحدث في بعض الامور العامة حتى بدأ هاتفها في الاهتزاز، ظهرت ابتسامة على وجهها فور أن رأت اسم المتصل فاعتذرت من (هيام) وقامت بالرد على الهاتف:

ـ تعرف إني كنت لسة قاعدة في نفس المكان اللي أنت كنت قاعد فيه يوم عيد ميلادى، دلوقتى بس عرفت أنت ليه كنت حابب تقعد في المكان دا، بجد الفيو من هنا تحفة.

ـ علشان تعرفى يا بنتى إني مبختارش أي حاجة والسلام.

من حديثها أدركت (هيام) أنها تحادث (مصطفى) فبدأ التوتر يزداد وهي تخشى أن يحكي ل(سلمى) ما فعلته. استمرت المحادثة دقائق معدودة اطمأن فيها كل منهما على الآخر وأنهت (سلمى) المكالمة ثم توجهت بكامل انتباهها إلى (هيام) وعلى وجهها ابتسامة صافية

ـ ها كنا بنقول أيه بقا يا قلبى؟

ـ ولا حاجة يا حبيبتى، هستأذن أنا علشان افتكرت إن كان عندى معاد وماخدتش بالي من الوقت خالص غير دلوقتي.

ـ يا بنتى هو احنا لحقنا نقعد مع بعض؟

ـ معلش تتعوض مرة تاني.

أنهت (هيام) الحديث وذهبت دون أن تشرب العصير الذي طلبته، فرمقتها (سلمى) بتعجب ولا تفهم ما السر خلف كل هذا التوتر، وما الذي غيّر (هيام) الهادئة الرزينة إلى تلك التي لا تستطيع أن تجلس دون أن تلتفت حولها أكثر من مرة بجانب توترها الدائم؛ يبدو أن هناك خلافات بينها وبين زوجها.

لم تشغل بالها بما يحدث مع (هيام) وذهبت إلى حمام السيدات لتضع القليل من مساحيق التجميل التي لا تخلو حقيبتها منها، فقد أخبرها (مصطفى) أنه في طريقه إليها عندما علم بأنها قريبة منه، رغم أنها تعلم أنه لا يمكن أن ينظر إليها بأى شكل شهواني، إلا أنها ترغب دائما أن تظهر أمامه فاتنة. مر الوقت سريعا وأتى (مصطفى) كعادته ممشوق القوام، أشارت إليه فأتى إلى المنضدة التي تجلس عليها، تعانقا فأثارها دفء جسده وحاولت أن تلملم شتات نفسها بعدما ضغطت على شفتها السفلى بأسنانها.

ـ أيه يا بنتى مالك، مش على بعضك ليه؟

ـ وهو أنا ينفع أبقى قاعدة معاك وأنا على بعضي

ـ يا بنتى انتي مش اتجوزتي خلاص واتفقنا إننا بقينا صحاب، اهمدي بقى

ـ ما أنت عارف إن مهما قلنا إننا هنكون صحاب برضه اللي في القلب في القلب، مش كدة ولا أيه يا غول؟

ظل ينظر إليها ويتأمل ملامحها كأنه يراها للمرة الأولى، تذكر بداية عمله في الجيش عندما التقى بها في إحدى الحفلات التي كان مدعوًا إليها، ومنذ ذلك اليوم وهما أصدقاء منذ أكثر من خمس سنوات. اعترفت له بحبها أكثر من مرة، فأخبرها أنه لا يفكر في الزواج وكل ما يشغل باله هو مستقبله فقط لا غير؛ انتهت خدمته العسكرية وأصبح مدنيا مرة أخرى ولكنه ما زال متمسكا برأيه في العزوف عن الزواج، لا تعلم هى السر خلف ذلك ولكنها دائما ما تحاول أن تلفت انتباهه إليها وهو يحاول جاهدًا أن يتحاشاها، حاول أن يبدو هادئًا عندما بدأها بالسؤال عن (هيام) فبدأت الغيرة الأنثوية تظهر في عينيها. أخبرته أنها كانت هنا منذ دقائق قليلة وذهبت قبل أن يأتي، فابتسم وتبادلا الكثير من الحديث الذي لا يسمن ولا يغنى من جوع، علم خلاله الكثير عن (هيام) دون أن تشعر (سلمى)، وأنهى حديثه معها بعد أن اتفقا على اللقاء في القريب العاجل. اتجه إلى منزله بينما عقله ما زال يبحث عن السر خلف هذه التي لفتت انتباهه بشكل مستفز جراء حديثها الاخير معه، أخرج هاتفه وفتح آخر رسالة أرسلتها له وكتب يرد عليها:

ـ آها طبعا فاكر حضرتك كويس، معلش بعتذر عن أسلوبى الجاف بس أنا مش بضيف أي حد عندي من غير ما أكون عارف هو مين، واسم البروفايل

بتاع حضرتك معمول باسم مستعار ودا اللي خلانى بتكلم بالطريقة دى، طمنينى أخبارك أيه؟؟ يا رب تكونى بخير.

أنهى جملته وأغلق بعدها شاشة الهاتف وأعاده إلى جيبه، واستأنف السير إلى بيته، ولم ينتبه إلى تلك الرسالة التي وصلت إليه في الحال.

***

12

الأحد – العاشرة صباحا

أمام شركة "الناصر للمقاولات" صف (أسامة) سيارته وترجل منها ثم تقدم إلى البوابة، دلف إلى البناية وأخبر مسئولة الاستقبال أن لديه موعدًا مع المهندس (محمود) فأجرت الموظفة اتصالًا ثم أخبرته أن المهندس (محمود) في انتظاره بمكتبه وأشارت لأحد أفراد الأمن أن يصطحبه إلى طابق الإدارة.

اصطحبته السكرتيرة إلى باب المكتب وطرقته ثم أشارت له بالدخول وذهبت لتخبر عامل البوفيه أن يعد القهوة للسيد (محمود) وضيفه.

رحب (محمود) به ثم جلس قبالته وبدأ يسأله عن أحواله وعن عمله.

بدأ (أسامة) في عرض بعض البنود التي أضافها إلى العقد الذي سلمه له (محمود) في المرة السابقة، اطَّلع عليها (محمود) وأبدى موافقته عليها، تسلَّم (أسامة) الشيك الذي حرره له محمود ثم شكره وانصرف إلى عمله مرة أخرى.

طوال الطريق و(أسامة) لا يفكر في أي شيء سوى (هيام)، كم يفتقدها هذه الأيام، لا يعلم ماذا حدث لكل هذا البعد والجفاء بينهما.

ظل عقله منشغلًا بما يدور بينه وبين (هيام) حتى وصل إلى مستشفى (بِهْمَن).

أخرج ملف شركة الناصر وتفحص كافة الأمور التي تحدث فيها اليوم مع (محمود)، أنهى اطلاعه على الملف ثم قام ليأخذ جولة بالمستشفى، ثم عاد

بعدها إلى مكتبه وبدأ في بعض الجلسات لمرضاه، ثم انصرف وعاد إلى منزله مرة أخرى. في الطريق حاول التواصل مع (هيام) ولكن لا حياة لمن تنادى، لا تجيب على هاتفها بل تغلق الهاتف بعد أن يحاول محادثتها!

وصل إلى كورنيش المعادى، وبدلًا من الاتجاه إلى المنزل ذهب إلى النيل ليجلس في الهواء الطلق، ترجل من السيارة واتجه ناحية أحد الكافيهات الكبيرة، وبينما يستعد للدخول اصطدم بشخص فارع البنيان يمتلك قوام مصارع ويحمل حقيبة على ظهره، اعتذر له (أسامة) فابتسم الشخص الآخر وأشار إليه بأنه لا يوجد مشكلة واتجه كلٌ إلى طريقه.

دخل (أسامة) وجلس على منضدة وجدها خالية قريبة من النيل، وضع هاتفه أمامه ثم وجّه مقعده تجاه النيل وطلب كوبا من العصير وأغمض عينيه وبدأ يستمتع بالموسيقى الهادئة التي تنبعث في المكان، مرت دقائق قليلة أتى بعدها النادل بكوب العصير ومعه زجاجة مياه، وضعهما على المنضدة ثم انصرف.

بدأ (أسامة) يرتشف القليل من العصير ثم أغمض عينيه مرة أخرى ولم يفق إلا عندما سمع صوتًا مألوفًا لديه، فتح عينيه ليجد (سلمى) تقف أمامه.

ـ (أسامة)، أيه الصدفة الجميلة دى، أنت من امتى بتيجي تقعد هنا؟

ـ ازيك يا (سلمى) عاملة أيه؟

ـ أنا بخير الحمد لله أنتَ اللي عامل أيه؟

ـ أنا تمام والله، عاملة أيه مع جوزك؟ بقالي كتير معرفش عنكم حاجة

ـ انفصلت أنا وهو من فترة وحاليا عايشة لوحدى ومركزة في شغلى وبس، وأنت أخبارك أيه وعامل أيه مع (هيام)، دي حتى كانت معايا من شوية ومقالتليش إنك بتيجى تقعد هنا خالص.

ـ (هيام) كانت هنا؟؟

ـ آها هى مقالتلكش ولا أيه؟

ـ لا لا هى تلاقيها قالتلى بس أنا نسيت من ضغط الشغل مش أكتر.

ـ تمام، أنا كنت ماشية، أسيبك تستمتع بالمكان، وعلى فكرة الترابيزة دى إدمان، الفيو بتاعها تحفة والهوا هنا جميل خصوصا بليل، يلا أسيبك تستمتع بوقتك.

أنهى حديثه معها ثم جلس وأخذ عقله ينهكه من التفكير، لماذا تأتي (هيام) إلى هنا ولا تخبره؟ وإن كانت هنا منذ قليل لماذا لم ترد على اتصالاته المتتالية؟ ومع من كانت، ومنذ متى وهي تحادث (سلمى) وتقابلها؟ ظلت هذه التساؤلات تدور في عقله حتى بدأ يشعر بألم في رأسه من الصداع، فأخرج من جيب سترته مسكنًا اعتاد على تواجده معه مؤخرا بسبب هذا الألم الذي يغزو رأسه كل فترة دون سابق إنذار، ثم بدأ في التدخين.

أنهى كوب العصير الذي أمامه ثم عاد مرة أخرى إلى سيارته وذهب إلى المنزل، غيّر ملابسه وجلس على الفراش يتذكر الفترة التي تعرف فيها على (هيام) بعد عودته مباشرة من لندن.

***

13

الأحـــد ... الساعة 9 صباحًا

نظر (أسامة) في ساعته فوجد معه متسعًا من الوقت قبل بدء اليوم الأول في "مؤسسة الناصر"، فقد وصل قبل الموعد المحدد، صف سيارته جانبًا ثم دخل إلى الشركة فرحبت به موظفة الاستقبال وأخبرته أن المهندس (محمود) قد ترك معها خبرًا بوصوله وأن السيد (هيثم) سيصطحبه إلى مكان التدريب، ثم سيمر عليهم المهندس (محمود) أثناء البريك لأنه الآن في إجتماع هام.

ثوانى قليلة مرت أتى خلالها (هيثم) ليصطحبه إلى قاعة التدريب، سار معه حتى وصلا إلى المصعد ثم بدأه (أسامة) الحديث:

ـ شكلك صغير في السن يا (هيثم) على إنك تكون مسئول التدريب في الشركة.

ابتسم (هيثم)، فهذه لم تكن المرة الأولى التي يلتقى فيها بــــ(أسامة) ويعلم أنه دائمًا ما يفضل مناغشة الناس ولا يحب الصمت كثيرا، فأخبره أنه يعمل في مجال التدريب منذ كان في السادسة عشر من عمره وأنه التحق بالشركة بعد انتهائه من كلية التجارة قسم إدارة الأعمال وتمت ترقيته لكفاءته في العمل وبعدها بدأ في الحصول على العديد من الدورات التدريبية حتى استطاع أن يرتقى إلى منصب مسئول التدريب بالشركة، بجانب قربه الكبير من (محمود)

وأنه أصبح في فترة ليست بالكبيرة يده اليمنى التي لا يستطيع أن يستغنى عنها. أنهى (هيثم) حديثه مع وصولهما إلى الطابق الذي توجد به قاعة التدريب، دلفا إلى القاعة فوضع (أسامة) مستلزماته على المنضدة ثم بدأ يتحرك في القاعة ويتأكد من كل خطوة فيها هل هى كما رسمها في عقله آخر مرة زارها أم تغير فيها شيء، لاحظ نظرات (هيثم) مع صمته فابتسم له:

ـ لازم قبل المحاضرة أتحرك في القاعة علشان مبحبش المفاجآت وأنا شغال، بحب أشوف المكان زى ما هو من آخر مرة شوفته فيها ولا لأ، وأجرب كل حاجة أنا هستخدمها علشان التدريب يمشى زى ما أنا مرتبله والكل يكون مستفيد.

ـ معنديش أي اختلاف مع حضرتك، كل ما في الأمر أن المهندس (محمود) قال إن حضرتك من المدربين المميزين جدًا في المجال دا في مصر رغم صغر سنك، لأنك بتجمع ما بين المهارة المتعلقة بالتدريب والعلم المتعلق بعلم النفس، علشان كدة أنا بحاول بعد إذنك طبعا إني أستفيد منك على المستوى الشخصي قبل ما أكون بستفيد منك في الشغل بتاعي.

نظر (أسامة) إلى (هيثم) بإمتنان وفرح شديدين، فحديثه قد أرضى غروره، فاقترب منه وأخبره أنه سيكون ممتنًا له إن كان معاونًا له طوال فترة تدريبه في الشركة فرحب (هيثم) كثيرا. بدأ (أسامة) في تجهيز اللاب توب الخاص به،

فيما ذهب (هيثم) ليخبر الحاضرين بالمدرب الذي سيكون معهم اليوم قبل أن يأتى ويبدأ يومه التدريبي الأول.

فى الطابق السابق للذى تقع فيه قاعات التدريب جلس (محمود) بمكتبه مع مجموعة من المستثمرين الأجانب، وأخذ يشرح لهم فكرة المشروع الذي يودهم أن يشاركوه فيه، أخذ وقتا ليس باليسير حتى انتهى من عرضه ورأى ابتسامة رضًى على وجوه الجلوس جميعًا فأنهى عرضه وجلس ينتظر منهم بعض التعليقات على ما عرضه عليهم للتو، وبدأت الاسئلة تتوالى عليه واحدًا تلو الآخر، فأجابها جميعا بكل أريحية وثقة تنم عن حنكة ومهارة كبيرة.

انتهى الاجتماع وانصرف الجميع على وعد بالرد في القريب العاجل، حياهم (محمود) وأوصلهم إلى باب مكتبه ثم اصطحبهم أحد مساعديه إلى المصعد بينما عاد هو إلى مكتبه وأخبر أحد السكرتارية أن تتبعه، بينما جلست الأخرى تنهي بعض المهام التي طلبها منها.

تواصل (هيثم) مع السكرتارية وأخبرهم أن دكتور (أسامة) سيلتقي المهندس (محمود) في مكتبه في وقت الاستراحة الخاصة بالكورس، ثم أغلق الهاتف وانتظر (أسامة) إلى أن انتهى واصطحبه إلى المكتب.

دار حديث ودي بين (أسامة) و(محمود) لم يستمر طويلًا، ثم استأذن الأول في الانصراف لأن فترة استراحة المتدربين ستنتهي بعد خمس دقائق ولا يود أن

يتأخر عليهم، خرج من مكتب (محمود) ثم اصطحبه (هيثم) إلى قاعة التدريب مرة أخرى ليكمل ما بدأه.

انتهى اليوم الأول من التدريب المكثف واستطاع (أسامة) خلاله أن يحصل على كامل الانتباه من الحضور، ووعدهم في اليوم التالى أن يكون هناك تدريبات عملية كثيرة ستجعلهم يشعرون بالحيوية بشكل أكبر ثم صافح جميع الحضور قبل أن ينصرف، وفى طريقه إلى الخروج مر على مكتب (محمود) وأخبره بأنه انتهى اليوم وسيكون موجودًا في صباح الغد في الموعد المحدد لبدء اليوم التالي ثم انصرف وعلى محياه ابتسامة رضًى. ركب سيارته ثم إتجه إلى العباسية لاستلام الشقة التي أتم اتفاقه عليها، وصل إلى المكان المنشود فترجل من سيارته وصعد إلى الشقة فوجد صاحب الشقة والسمسار في انتظاره فصافحهما ودفع المبلغ المتبقى، أخبر السمسار بأن يقوم بتغيير كالون الباب ويحضر له المفتاح الجديد بعد أن نقده بعض النقود مقابل خدمته.

وهو في طريقه قام بالاتصال بـــــ(هيام) بعدما شعر باشتياقه الشديد إليها وتفاجأ عندما أجابت اتصاله، أخبرها أنه في طريقه إلى منزل والدتها ليصطحبها إلى شقتهما فأخبرته أنها ستستعد حتى يأتى إليها، وبالفعل حالما وصل إلى منزل والدتها وجدها قد تجهزت، رحبت به والدتها ولامت عليه تركها كل هذه الفترة دون أن يمر عليها، فأخبرها أنه كان في ضغط عمل

خلال الفترة الماضية، وانه لم يكن ليأمن أن يتركها وحدها بالمنزل كل هذه الفترة، وأن أفضل مكان لها هو بجوار والدتها، خاصة عندما أخبرته أن والدتها تمر ببعض الإرهاق. اطمأنت السيدة لعدم وجود اختلاف بين حديث ابنتها وزوجها، فقبّلت كليهما ثم انصرفا، وبينما يستقلان السيارة حصل (أسامة) على قبلة سريعة ومفاجأة من (هيام) التي أحمر وجهها خجلا لوجودهما في مكان عام، ولكنه لم يبالي وانطلق إلى منزلهما وعلى وجهه ابتسامة كبيرة علمت هى مغزاها وعلمت توابعها.

***

١٩

الاثنين ... العاشرة مساءً

"هذا وقد صرّح السيد رئيس الوزراء أنه سيكون ضمن الوفد الحاضر في مؤتمر النخبة لرجال الأعمال لتسليم جائزة رجل العام مما يزيد من قيمة الجائزة، علما بأن هذا العام سيكون هناك العديد من المفاجآت التي سننقلها لحضراتكم على الهواء مباشرة.

كانت معكم (ناهد شاهين)".

أنهت (ناهد) برنامجها ثم اتجهت إلى إحدى الغرف المجاورة للاستوديو واستبدلت ملابسها واستعدت للقاء انتظرته منذ فترة طويلة، وها هو يأتيها الآن على طبق من فضة. ركبت سيارتها ثم اتجهت إلى أحد الكافيهات الشهيرة بالتجمع الخامس، وعندما وصلت سألت على حجز باسم (ناهد شاهين) فأشار لها النادل على منضدة يجلس عليها رجل في ريعان شبابه، يرتدى حلة زرقاء ويضع قدما على الأخرى ويرتشف كوبا من العصير، اقتربت منه على مهل حتى وقفت أمامه.

ـ كنتى متألقة النهاردة يا نانا زى ماعودتينى، بس بجد شابوه على الكلمة اللي في آخر الحلقة، أنا نفسي رغم إني عارف أيه هى المفاجآت إلا إني تشوقت جدًا اسمعها منك.

ــ دا شغلى يا (محمد) بيه

قبّل يدها وتحرك من موضعه وسحب لها الكرسى المقابل له لتجلس عليه ثم عاد إلى مكانه مرة أخرى، مرت دقيقة أتى بعدها النادل فطلبت منه فنجانا من القهوة الفرنسية ثم بدأت توجه حديثها إلى هذا الشخص القابع أمامها.

ـ خير يا (محمد) بيه، مدير أعمالي عرفنى إن حضرتك طلبت مقابلتي في حاجة مهمة وطلبت إننا نتقابل هنا مش في الشركة عندك، يا ترى أيه الحاجة المهمة اللي تخلينى أحصل على شرف المقابلة دي.

ـ متقلقيش يا نانا، الحاجة دي هتكون خير وخير كبير كمان، صحيح تسمحيلى أقولك يا نانا ولا دي ليها ناس محددة بس اللي بتقولها؟!

أومأت له برأسها مع ابتسامة، جلست صامتة وتركته يدير دفة الحديث لعلها ترتاح ويهدأ بالها.

ـ سمعت أن في منافس جديد هيظهر على الساحة ... يا ترى متعرفيش مين اللي تجرأ أنه ينزل قدام (محمود بيه ناصر)؟

كان وقع الكلام على (ناهد) يصيبها بتوتر كبير، ما الذي فعلته في حياتها حتى تضع نفسها بين شقي الرحى، يبدو أنه علم بعملها مع (محمود) ولكن يحاول أن يخبرها بشكل غير مباشر ليرى رد فعلها، فأرادت أن تبدو طبيعية إلى أقصى درجة ولكن التوتر الذي بدى على ملامحها جعلها تبدو ساذجة.

ـ أكيد مفيش حد هيقدر يعمل حاجة زى كدة إلا لو كان شخص عارف إنه

هيقدر يحقق نتيجة مبهرة، وأنا شايفة إن مفيش حد على الساحة دلوقتى ينفع ينافس "مؤسسة الناصر" غير "الهادى للمقاولات"، ولا حضرتك شايف أيه يا (محمد) بيه؟

ـ عارفة يا نانا، بيعجبنى فيكى إنك شخصية لماحة، بتعرفي من أين تؤكل الكتف.

ظهرت ابتسامة خافتة على وجهها ولكن زادتها كلمته توترًا وحاولت أن تستدرك الموقف، فحاولت أن تغير دفة الحديث إلى ما يدور في البلاد من ارتفاع وهبوط في مستوى الاقتصاد في الآونة الاخيرة وأن الفرصة متساوية بشكل كبير في التنافس بين "مؤسسة الهادى" و"مؤسسة الناصر"، ولكن بعد دقائق قليلة وجدت أنها لم تغير الحديث بل إنها من شدة توترها تعمقت بشكل أكبر في تفاصيل المنافسة بين الشركتين. صمتت وأخذت تتأمل الشخص الجالس أمامها وتنتظر منه أن يكمل حديثه ولكن ينتابها شعور بالرهبة الشديدة، فهذا الشخص ليس بمثل وضوح (محمود ناصر). تعرف جيدا أن الحياة التي قضاها (محمد) في لندن جعلت منه خبيرًا في إخفاء ما يريد تحت ستار الوقار والهدوء، ولكنها تعلم أيضًا أنه يحيك أثناء هذا الهدوء لمكيدة لا تعلم عنها شيئًا، فما تعلم عنه من المعلومات التي استطاعت تجميعها أنه شخصية لا يحب الكلام الكثير ولكنه بارع في الأفعال، ترى فيم يفكر الآن؟

ـ بصى يا نانا، أنا عارف إنك دلوقتى عمالة تفكرى ودماغك بتودى وتجيب وتقولى أنا أيه اللي يخلينى آجى وأقابل شخص لأول مرة أقعد معاه وأنا معرفش هو عاوز منى أيه، وعلشان كدة أنا مش هطول عليكى علشان وقتك ووقتى، وفى نفس الوقت هقولك احنا قاعدين بندردش مع بعض ليه.

ـ يبدو إن مش أنا بس اللي لماحة وبقدر أفهم اللي قدامى.

ـ يبقى ندخل في صلب الموضوع، دلوقتى أنا سمعت كلام عن أن القناة عندك هتكون الراعى الرسمى لحملة الدعاية بتاعت "مؤسسة الناصر" وأكيد حقوق الرعاية دى هتكلف القناة كتير بس برضه القناة هتجنى من وراها كتير وطبعا انتي هينوبك من الحب جانب، أنا بقى مش هلف وأدور كتير، أنا عاوز أحجز إعلان في القناة يبدأ من أول الاسبوع الجاى لحد انتهاء فترة الإعلان عن المرشحين للجايزة وبعد الفترة دى هنزل بإعلان تانى لحد يوم الإعلان عن الفائز بالجايزة، وعاوزك تعرفى إن نفس القيمة اللي أنا هدفعها للإعلان هيكون في قدها في الحساب بتاعك في البنك.

ـ بس يا (محمد) بيه اللي حضرتك بتتكلم فيه دا بالنسبة للقناة عندي غير قانوني، يعنى اتفاقك مع القناة هي هتتقاضى عليه الأجر اللي هتتفقوا عليه وأنا ليا نسبتى بها أنِّي أنا اللي جايبة الإعلان، لكن إنّ يكون في مبلغ بالقيمة الكبيرة دى ليا فبالطبع دا هيخلي القناة تشك في مصداقيتي، خاصة إن أنا اللي

جايبة حق رعاية "مؤسسة الناصر" وأنا اللي جايبة الإعلان بتاع حضرتك.

ـ ومين قال إن القناة ليها دخل بالمبلغ اللي هيتحط في حسابك، المبلغ دا اعتبريه كادوه منى ليكى مقابل بعض المعلومات اللي هحتاجك تزودينى بيها، وساعتها انتى وشطارتك.

ـ بالنسبة للعرض اللي حضرتك قلت عليه للإعلان هستأذنك تجهزلى فايل فيه كل اللي أنت محتاجه والصيغة اللي تحب تتعمل في الإعلان وأنا هعرضها على القناة وهرد عليك في أسرع وقت، أما بالنسبة للعرض التانى فأنا محتاجة وقت كفاية علشان أفكر فيه بشكل قوى وأقدر أدي لحضرتك كلمة علشان أنا بحب لما أدي كلمة بحاجة لازم أكون قدها وأظن دا فير كفاية ليك!

وافقها (محمد) على ما قالت وأكمل الحوار فيما بينهما بشكل ودى لطيف لكى تطمئن إليه ولو قليلا، لم يستمر الحوار بينهما طويلا بعدما انتهيا من الامور الهامة التي تمت المقابلة من أجلها، أنهت (ناهد) مشروبها ثم استأذنت للإنصراف، ركبت سيارتها وانطلقت وفى داخلها كم هائل من القلق حول هذا اللقاء، أخرجت هاتفها وخاطبت (محمود) وأخبرته أنها تود لقائه في اقرب وقت ممكن فسألها عن مكانها واخبرته بأنها تحركت من التجمع الخامس في الحال فأخبرها أن تعاود أدراجها وتأتي إليه في الصومعة الخاصة به بالتجمع فغيرت اتجاهها وعادت مرة أخرى.

15

تمتلئ الحياة بالعديد والعديد من المنغصات التي تجعلنا نشعر أنه لا مفر منها مهما حدث، كان هذا هو الإحساس المسيطر على (مصطفى) طوال الفترة الماضية، لا يعلم هل السبب هو عزلته التي اختارها لنفسه بعد الخروج من الخدمة، أم لأنه يعيش حياته دون ونيس، أعد لنفسه كوبا من العصير وجلس على الأريكة يطالع التلفاز لعله يجد أي شيء يخرجه من تلك الحالة التي أصبحت ترهقه كثيرًا، بعد وقت قصير سمع صوت إشعار من الهاتف يخبره بوصول رسالة جديدة على الماسنجر، فتح الهاتف ليجد رسالة مفادها "مبسوطة جدًا إني اتعرفت بيك وإن شاء الله يتجدد لقاؤنا مرة تانية قريبًا ".

لا يعلم ما السر خلف انجذاب هذه المرأة له، من حديثه مع (سلمى) علم أنها متزوجة وتعيش في نفس إطار المنطقة التي يعيش بها ولا يوجد أي سبب يجعلها تحاول الحديث معه أكثر من مرة بهذه الكيفية، لم يعطِ الموضوع حيزًا أكبر مما يستحق، أغلق المحادثة دون رد ثم شرع يؤدي بعض التمارين. أنهى التمارين ثم جلس يقرأ أحد الكتب التي وجدها أمامه، قبل أن يُعد الطعام ويتناوله. أعد كوبًا من القهوة وعاد إلى غرفته ليكمل الكتاب الذي كان يقرأه، حتى سمع صوت الهاتف يهتز فنظر إلى الاسم فوجدها (سلمى)، لم يجب في المرة الأولى ولكن عندما وجدها تعاود الاتصال مرة أخرى أجابها فأخبرته أنها ستكون في الكافيه بعد قليل وتريده أن يأتي ليجلس معها إن لم

يكن مشغولًا، فأخبرها أنه سيأتى، وقبل أن ينهي الاتصال سألها إن كانت (هيام) ستكون موجودة أم لا فأخبرته أنها ستأتي وحدها ولا أحد سيكون معها فاطمأن قلبه وقال إنه سيغير ملابسه ثم يأتى إليها.

فكرت (سلمى) كثيرا في سر سؤال (مصطفى) عن (هيام)، ولكنها لم تستطع أن تجد إجابة مقنعة لما دار في خلدها فقررت أن تؤجل الإجابة حتى يأتي إليها ووقتها يمكنها أن تسأله. قبل مرور الساعة، وجدت (مصطفي) يقترب من الطاولة التي تجلس عليها، ابتسمت له وهو يقترب منها على مهل وتفحصته جيدًا حتى شعر أن عينيها ستخترقانه.

ـ غريبة، تقريبا أنا بشبه على المكان دا!

ـ تقريبا كدة أنت كل مرة بتيجي هنا بتقعد فيه؟؟

ـ بالظبط كدة، يا ترى أيه بقا اللي مخليكى تقعدى في المكان بتاعى لما انتى عارفة إني بحب اقعد فيه؟

ـ قلت أستناك هنا لحد ما تيجى، وبعدين يا سيدي أنت اقعد في مكانك وأنا هقعد قدامك ولا تزعل نفسك.

ابتسم لها ثم تعانقا وجلس كل منهما في مكانه ثم أشارت إلى النادل وطلبت له مشروبا باردا وطلبت لها المثل. ظل كلاهما يتحدث عن أمور عامة حتى انتهت كل المحادثات غير المهمة، ثم بدأت تنظر له وتضيّق عينيها وكأنها تريد

أن تخبره بأنها ستسأل عن أمر ما ولا يمكنها أن تتوقع الرد الذي قد يصدر منه، فنظر لها بابتسامته المعهودة وأشار لها بيديه كأنه يخبرها بأن تأتي بما عندها

ـ بصراحة كدة كنت عاوزة أعرف ليه أول ما قلتلك إني جاية هنا وإني عاوزة أشوفك سألتنى عن (هيام) جاية ولا لا، هى ضايقتك في حاجة؟

ابتسم وفهم من حديثها أن (هيام) لم تخبرها أنها حادثته على الفيس بوك، ففضل أن يجعل الأمر مخفيًا عنها حتى يعين الموعد المناسب لذلك

ـ لا خالص بالعكس دى انسانة لطيفة ودمها خفيف، كل ما في الأمر أن المرة اللي فاتت لما كنا قاعدين هى كانت موجودة معاكى فقلت ممكن تكون موجودة برضه المرة دى علشان كدة سألتك.

لم تكن الإجابة مقنعة بالنسبة إلى (سلمى)، وخمنت أن هناك خطب ما، ولكنها لم تأت اليوم لكي تستجوبه، هى تريد أن تنفرد به بعد هذه الفترة الطويلة التي لم تستطع أن تقابله فيها. ابتسمت له وقبل أن تستأنف حديثها أتى النادل فوضع المشروبات على الطاولة ثم انصرف، أمسكت باحد الكؤوس واعطته إياه ثم أمسكت كأسها ترتشف منه القليل.

ـ أحلى حاجة في المكان هنا أن دايما العصاير بتاعتهم فريش، والمشروبات السخنة بتاعتهم كلها بتتعمل باحترافية، ودا اللي بيخلينى دايما أفضل آجى هنا.

ارتشف (مصطفى) القليل من مشروبه وهو ينظر إليها دون أن يتحدث، ظلت تحدثه عن جودة المكان وروعة المنظر المطل على النيل وهو يومئ لها براسه وينتظر منها أن تبدأ الحديث في الموضوع الذي أرادت أن تقابله من أجله، فهو يعلم جيدا انها لن تطلب مقابلته إلا أن كان هناك أمر ما، فمعرفته بها لم يمر عليها أيام قليلة ولكنها أعوام استطاع أن يعلم جيدا متى تريد أن تجلس معه فقط ومتى تريد أن تتحدث معه في أمر جلل.

ـ بص بقا يا سيدي من غير لف ولا دوران كدة أنا هدخل على طول في الموضوع اللي أنا عاوزة أتكلم معاك فيه

نظر إليها وعلى وجهه ابتسامة يخبرها فيها بأنه يعلم جيدًا أنها لم تاتِ به لمجرد أنها تريد الجلوس معه بعض الوقت، فوضع مشروبه على المنضدة ثم توجه بجسده كليًا تجاهها ليشعرها بالاهتمام والجدية في الاستماع إليها.

ـ اتفضلى يا ستى وأنا كلي آذان صاغية.

ـ دلوقتى أنت عارف إني انفصلت عن جوزى من فترة طويلة، تقريبا قربت أكمل سنة.

اومأ لها برأسه ليؤكد لها المعلومة ويحثها على الاستمرار في الحديث.

ـ وبرضه عارف إني من قبل ما أفكر في الجواز وأنا كنت بحبك وعارف إني ما زلت بحبك حتى الآن.

نظر لها باهتمام وتركها تكمل حديثها ولم يقاطعها

ـ أنا بس نفسي أعرف أنت ليه بتبعدنى عنك، كل ما بحاول أقرب ليك من ساعة ما عرفتك وأنت بتبعدنى عنك، ولما صارحتك إني بحبك اختفيت من حياتي تمامًا ومكنتش بتديني أي فرصة إني أتواصل معاك، وأديك كمان لما خرجت من الخدمة برضه معرَّفتنيش، يمكن أنا بيّنت ليك إني متفاجأة لما قلتلى في الفون المرة اللي فاتت بس أنا كنت عارفة من قبلها لأني بتابع كل اخبارك أول بأول من يوم ما أنت هربت منى وبعدتنى عنك، يمكن مكنتش بتواصل معاك بشكل مباشر بس تقريبا مفيش حاجة في حياتك كانت بتحصل أنا مكنتش عارفاها بس محبتش أحسسك إني براقبك، كل ما في الأمر إني مش قادرة أشيلك لا من عقلى ولا من قلبى، يا سيدى لو مش حابب نتجوز على الأقل متبعدنيش عنك.

ظل ينظر إليها دون أن يستطيع التفوه بكلمة، طال صمته حتى بدأت هى تتحدث مرة أخرى

ـ أرجوك رد عليا بأي حاجة، أنا عارفة إنك مرتبطتش من بعد ما بعدتنى عنك وعارفة برضه إن مفيش حد في حياتك وإنك مفكرتش في الجواز، بس مش قارة امنع نفسي من حبك، أرجوك بلاش تعاملنى بالقسوة دى، أنا مستحقش منك كل دا، أنا معملتش أي حاجة وحشة في حقك.

ـ انتي فعلا معملتيش أي حاجة وحشة في حقى، بس في نفس الوقت انتي قبل ما تسألى السؤال كنتى بتجاوبي نفسك، انتي عارفة كويس إني مرتبطتش ولا فكرت في الارتباط ولا هفكر فيه، يمكن الأول كان بسبب شغلى وإنى كنت حابب اثبت نفسي بشكل كويس جدًا فيه، وكنت متفرغ ليه بشكل كامل، ورغم أن دا مكانش السبب الرئيسي بس لما سيبت الخدمة اصرارى على إني أفضل زى ما أنا لوحدى زاد أوي، مبقتش عاوز أدخل حياة حد ولا حد يدخل حياتى.

ـ بس أنا مش حد يا (مصطفى)، أنا (سلمى).

ـ وعلشان انتي (سلمى) أنا حابب إننا نفضل أصدقاء واخوات، حابب وقت ما تحتاجينى تلاقينى، لكن لودخلنا في حتة ارتباط وجواز هيحصل خلافات وممكن نخسر بعض بسببها وأنا مش عاوز دا.

ـ طيب أنت ليه أجزمت إنه هيحصل خلافات ما بينا وهنخسر بعض، مش يمكن حياتنا تكون سعيدة ونبقى مبسوطين مع بعض؟

ـ أديكى قلتي أهو يمكن!!، يعنى وارد جدًا يحصل خلافات وأنا مش عاوز دا، أنا كدة مرتاح وحاسس إني حر نفسي ومش حابب أقيد حياتى ولا أقيد حريتى بحد كل شوية يفضل يقولى أنت رايح فين ولا جاي منين، اتأخرت في الشغل ليه، معرفتنيش إنك نازل تتمشى ليه، كل الكلام دا ممكن يكون تافه

بالنسبة ليكى بس بالنسبة ليا أنا مش تافه وعلشان أنا دماغى غريبة وتفكيرى أغرب فمش حابب أدخل في المتاهات دي وسايب نفسي أعيش براحتي، أعمل كل اللي أنا عاوزه وقت ما أحب، ونفس الكلام بالنسبة ليكى مش حابب إني أقيد حريتك في حاجة، وأديكي أهو يا ستى وقت ما بتحتاجينى بتعرفى توصليلي بشكل كويس، وبالوضع الحالى أنا عمرى ما همنعك من حاجة طالما الحاجة دى هتخليكى سعيدة.

ـ يعنى أنت ممكن تعمل أي حاجة تبسطنى طالما احنا أصدقاء ومش هتقيدنى بحاجة.

ـ وأنا أقيدك ليه؟ حياتك انتي أولى بيها اعملي فيها كل اللي انتي عاوزاه، وليكي عليا إن يوم ما تحتاجينى في أي حاجة وفى أي وقت طالما في استطاعتى اساعدك عمري ما هتاخر عنك.

ظلت تنظر له طويلا ثم بدأ شبح ابتسامة يظهر على ملامح وجهها مما جعله يشعر بهدوء نسبي لاعتدال حالتها المزاجية، سمع صوت احتكاك معدني خلفه فاستدار إليه بحدة بعض الأشخاص يجلسون على الطاولة المجاورة لهم، عاد بنظره إليها مرة أخرى ليفاجأ بها تقف أمامه وتميل عليه بسرعة تحاول أن تقبل شفتيه؛ أمسك يديها وابعدها عنه ونظر إليها نظرة تحمل الكثير من الضيق بسبب ما حاولت فعله للتو ولكنه وجدها تضحك بشكل

هستيرى والدموع تملا مقلتيها، لم يعلم ما الذي يجب عليه أن يفعله ولكن حتى لا يفسد الوضع أكثر مما هو عليه، قام من مكانه ثم توجه إلى بوابة الخروج بعد أن ترك حساب المشروبات على الطاولة ثم انصرف.

أخفت وجهها بين يديها وأخذت تبكي، بينما سار (مصطفى) باتجاه المنزل وقد احمرت أذناه من شدة الغضب بسبب ما حدث، أخذ يسأل نفسه عن السبب وراء كل ما قالته وما قامت به منذ قليل فلم يتذكر أنه فعل أي شيء يحثها على ذلك، هى تحبه وهو يعلم ذلك ولكنه لا يكن لها أي مشاعر سوى أنها صديقة.

ظلت التساؤلات تدور في عقله حتى وجد نفسه يقف أمام العمارة التي يقطن بها، ظل واقفا في مكانه حتى لاحت سيارة من بعيد تضيء الانوار وتسير مسرعة، فنظر إليها والشرر يتطاير من عينيه بسبب الضوء الشديد المسلط عليه، حاول أن يتوجه ناحية السيارة ليتشاجر مع صاحبها ولكنه لم يلحقها فمرت بجانبه مسرعة، ولمح من نافذة السيارة (هيام) تجلس بجوار رجل وتبتسم له، ظل ينظر إلى السيارة بعد أن ابتعدت عنه ثم توجه مرة أخرى إلى مدخل العمارة وصعد إلى شقته وأغلق الباب خلفه، جلس يبحث على شبكة الإنترنت عن وظيفة خالية لعله يجد ضالته على أحد المواقع الالكترونية.

ظل على هذه الحالة قرابة الساعتين ولكنه لم يجد ما يبحث عنه، بدأ اليأس يتملك منه بشكل كبير ولكنه حاول جاهدًا أن يفكر في أي شيء يمكن أن يجعله يخرج من هذه الحالة، عاد بتفكيره مرة أخرى إلى (سلمى) وما قالته له فتذكر سبب بغضه للزواج عندما مر بهذا الموقف الذي لا يغمض عينيه إلا ويراه أمامه رأي العين.

***

قبل 15 عاما

اقتربت الساعة من العاشرة صباحا، شعر (مصطفى) ببعض الألم في معدته فذهب إلى العيادة الموجودة بالمدرسة وأخبر الطبيب بما يشعر به فأعطاه القليل من الدواء وأخبره أن يستريح ولا يأكل أي شيء قبل أن يشعر بتحسن، وعندما رأى الطبيب الألم يزداد عليه أعطاه إذنًا للذهاب إلى المنزل. في الطريق إلى المنزل كان الألم يشتد عليه قليلًا ثم يهدأ، ظل على هذه الحال قرابة العشرين دقيقة التي استغرقها للذهاب إلى المنزل، أمام باب الشقة الخاصة بهم سمع (مصطفى) صوت أحد أصدقاء والده، شعر في بادئ الأمر بفرح شديد لأنه لم ير والده منذ عدة أيام بحكم عمله في الشرطة وأنه يتغيب عنهم لفترات طويلة، وعندما سمع صوت صديق والده خمّن أن أباه قد عاد، فتح الباب وأسرع إلى الداخل وخلع حذاءه ولكنه لم يرى حذاء والده، لكنه متأكد

أنه سمع صوت أحد أصدقاء والده ووجد حذاءه موضوع بعناية بجوار الباب. تعالت بعض الضحكات من غرفة نوم والده فبدأت الريبة تنهش قلبه، اختفى الألم الذي كان يشعر به وظهر مكانه قلق شديد من الذي يدور في الداخل، لا يعلم ما الذي يجب أن يفعله، اقترب قليلًا من باب الغرفة التي يصدر منها الصوت، سمع صوت انفاس متلاحقة يتبعها أنات خفيفة، ثم سمع اهتزاز الفراش فاقترب بشكل أكبر من الباب ووقف أمامه ولم يسعفه عقله لمعرفة ما الذي يجب أن يحدث الآن، بدأ الصوت يرتفع من الداخل وسمع صوت ضحكات والدته تمتلئ ببعض الغنج ولكنه لم يفهم ما الذي يحدث ولماذا تضحك والدته هكذا خاصة في عدم وجود والده بالمنزل ولماذا يتواجد هذا الشخص في غرفة والده، نظر من موضع المفتاح الموجود بالباب فرأى ما هاله ولم يستطع احتماله، وجد صديق والده يرقد على الفراش وقد نزع ملابسه عنه، ووالدته كما ولدتها أمها وتعتلي هذا الغريب الذي يضع يديه على جسدها ويخبرها بأنه لم يرى أحدًا في جمالها من قبل؛ تجمد في موضعه لثوانٍ ولم يعلم ما الذي يمكن أن يفعله، شعر بالدماء تتدفق في عروقه بشكل كبير وبدأت أذناه في الاحمرار، وعندما سمع صوت هذا الرجل ينادى على والدته بألفاظ نابية اكتمل معه مشهد فقدان كرامة والدته، نظر في الاتجاه المعاكس لباب الغرفة وركض مسرعا خارج المنزل، وبينما هو يركض

اصطدمت إحدى قدميه بمنضدة صغيرة تتوسط الصالون فأصدرت صوتا مرتفعا. خرج من المنزل مهرولا ولا يعلم إلى أين سيذهب ولكنه أغلق الباب خلفه بعنف شديد ثم هبط إلى الشارع وأخذ يركض كالمجذوب لا يعلم وجهته، وبينما هو يعبر الشارع سمع صوت مكابح سيارة ترتفع بشكل جنونى فنظر في اتجاه الصوت لكنه لم يستطع أن يتحرك قيد أنمله فاصطدمت به السيارة وطرحته أرضًا وسالت الدماء من جسده الصغير. التف كثيرٌ من المارة حوله يحاولون حمله والذهاب به إلى المستشفى قبل أن يفقدوه بينما ذهب أحد الأطفال إلى شقة والدي (مصطفى) ليخبر والدته أن سيارة قد صدمته ونقله الجيران إلى المستشفى. أخذت والدته تولول وارتدت ملابسها على عجل ونزلت إلى الشارع تسأل الجيران عن اسم المشفى التي ذهبوا بابنها إليها، وركبت سيارة أجرة ثم تبعتهم إلى هناك. ظل (مصطفى) فاقدا للوعي لمدة يومين، وعندما استفاق بدأت الذاكرة تعود إليه تدريجيا فتحاشى النظر إلى والدته بينما ضمه والده ليطمئنه بأنه بجواره، ظل (مصطفى) يبكي ولا أحد يعلم سر بكائه إلا تلك التي انزوت في أحد اركان الغرفة ولم تستطع أن تنظر إليه في عينيه، فقد تأكدت أنه رآها، لكنها لا تعلم كيف ستواجهه، فهو طفل صغير ولا يعلم ما الذي يمكن أن يحدث في مثل هذه المواقف.

ظل بالمشفى لعدة أيام ثم أذن له الطبيب بالخروج ولكن اشترط على والديه

ألا يتعرض لأي إرهاق جسدي أو نفسي حتى لا يؤثر ذلك بالسلب عليه.
عاد إلى المنزل بجسده ولكن عقله فارقه منذ رأى والدته في هذا الموقف، ظل يتحاشاها يوما بعد يوم وعاما بعد عام حتى توفى والده في نفس العام الذي دخل فيه الكلية الحربية فاعتزل والدته وعاش وحيدًا، كره اسم (سلمى) لأنه يذكره بها، وكذلك الزواج، فهو لا يريد أن يمر بنفس الموقف مثل والده.

***

ظل يسترجع ما حدث كأنه يحدث أمامه الآن، لا يعلم هل ما قام بفعله في اعتزال والدته صحيح أم لا، ولكنه يرى أنه يعيش الآن حياة أفضل دونها خاصة عندما توفى والده ولم يصبح هناك أحد بإمكانه أن يجعله يعدل عن قراره. لا يعلم لماذا ظل كل هذه السنوات ولم يخبر والده بما حدث، هل بسبب حبه الشديد له ولأنه لا يريد أن يرى فيه سوءً بسبب ما سيسمعه، أم لأنه يرى أن هذه المرأة التي لا تستحق أن يطلق عليها والدته لا يجب أن يعطيها هذا القدر من الاهتمام.
بدأ الغضب يسيطر عليه بشكل كبير فترك كل ما بيده ومارس بعض تمارين التنفس لعله يهدأ قليلًا، جلس على السرير وأمسك هاتفه المحمول وفتح المحادثة بينه وبين (هيام)، أرسل إليها التحية ثم سألها عن حالها وتدثر بالغطاء ثم غط في نوم عميق.

١٥

صباح يوم الجمعة

استيقظ (أسامة) على صوت حركة بالشقة فبدأ القلق يدب في قلبه، نظر بجواره فوجد الغطاء في غير موضعه ووجد المكان دافئًا، يبدو أنه لم يكن يحلم، ظهرت ابتسامة رقيقة على ثغره عندما تذكر ملحمة الأمس وبدأ يتحرك من موضعه وتوجه إلى الحمام وأخذ حمامًا دافئًا أعاد إليه نشاطه من جديد، بدأ يسير على أطراف أصابعه ثم توجه إلى المطبخ فوجد (هيام) تعد الفطور وهي تمسك الهاتف في يدها ويبدو أنها تحادث أحدًا فلم يشأ أن يقطع خلوتها وتوجه إلى الغرفة مرة أخرى وأخرج أحد الكتب الموجودة بدرج الكومود وبدأ يقرأ فيه، مرت الدقائق سريعا حتى وجدها تقف أمام الفراش وقد أعدت الطعام وأحضرته إليه، حمل منها الطعام ووضعه بعناية على المنضدة المجاورة للفراش ثم أمسك يديها وقبلها.

ـ حياتى كانت وحشة أوي من غيرك، مكنتش متخيل إني هقدر أعيش حياتى وانتي مش فيها، أرجوكي متبعديش تاني.

ظلت ترمقه في تردد، هل يخبرها بذلك لأنه اشتاق إليها أم لأنه بالفعل لا يستطيع أن يحيا بدونها، فهى تعلم أنه لا يوجد رجل في هذه الحياة لا يستطيع أن يحيا بدون امرأة في حياته فحتما هناك البديل، ما أرهقها أنها لم تر عليه أي علامات الخيانة من قبل، إنه لا يملك وقتًا لها هي فهل يملك وقتًا يخونها فيه،

تناولت إفطارها معه ثم ذهبت إلى المطبخ لتنظيفه قبل أن تعيد ترتيب الشقة ثم أخذت حمامًا وعادت إلى فراشها مرة أخرى بجواره.

وبعد قليل، تحدثت مع (أسامة) عن (مصطفى) ورغبتها في مساعدته، فأخبرها أن تجعله يمر عليه في اليوم التالي بالعيادة.

***

عاد (مصطفى) إلى الشقة بعد دورة شاقة من الركض كان قد بدأها في صباح اليوم، وعندما وجد وقت صلاة الجمعة قد حان عاد واغتسل ثم ذهب إلى الصلاة

أنهى صلاته ثم عاد مرة أخرى، دخل غرفته وجلس يبحث عن عمل على الإنترنت لعله يجد مبتغاه، وبعد قليل أمسك أحد الكتب وبدأ في قرائته.

ظل قابعًا على فراشه يمسك بين يديه الكتاب الذي اختار أن يكون رفيقه في هذا اليوم، كلما أنهى أحد الفصول ينظر إلى الهاتف ثم يعاود القراءة مرة أخرى، وعندما انتهى من الكتاب حاول أن يتذكر أي معلومة مما قرأها فيه ولكن لم يجدِ ذلك نفعًا، فتفكيره مشتت ولا يستطيع التركيز في أي شيء سوى بحثه عن العمل.

أمسك الهاتف وفتح المحادثة بينه وبين هيام وأخبرها أنه يرحب بمساعدتها ثم ترك الهاتف وذهب إلى الحمام ليأخذ حمامًا دافئًا يزيل عنه التوتر الذي يشعر

به، أنهى حمامه ثم عاد مرة أخرى إلى الغرفة فوجد رسالة جديدة وصلت إليه منها تطلب فيها رقم هاتفه؛ تردد قليلا، لكنه حزم أمره وأرسل الرقم، لم تمر أكثر من دقيقتين حتى وجد الهاتف يهتز بين يديه، نظر كثيرا إلى الرقم الظاهر أمامه على الشاشة ثم أجابه

ـ سلام عليكم

ـ وعليكم السلام، إزيك يا (مصطفى) أخبارك أيه؟

ـ الحمد لله تمام، (هيام)؟

ـ أيوة أنا (هيام)، كنت حابة أعرف تخصص الشغل اللي أنت بتدور عليه أيه علشان أقدر أفيدك بشكل كويس.

ـ الحراسات الخاصة، أنا كنت ظابط جيش ولما خرجت من الخدمة اشتغلت في الحراسات الخاصة.

ـ تمام، بإذن الله خلال النهارده أو بكرة بالكتير هبلغك بأي جديد أوصل ليه

ـ شكرا جدًا ليكى

أنهى المحادثة معها وظل ينظر إلى الهاتف ولا يعلم سر الرهبة التي شعر بها مع سماع صوتها، رهبة امتزجت بلذة غير عادية، ظل يفكر في سبب مساعدتها له ولكنه لم يجد سببًا مقنعًا، عاد إلى الصالة مرة أخرى، بعد وقت قليل بدأ هاتفه في الاهتزاز معلنا وصول رسالة جديدة، نظر إلى الهاتف فوجد رسالة منها

ـ بكرة الساعة 9 الصبح تكون موجود في العنوان دا وتسأل عن دكتور (أسامة) وأول ما توصل عرفه بنفسك وسيب الباقي عليه

نظر إلى الرسالة وهو يشعر بحالة من الفرحة تمتزج بها حالة من الرهبة لا يعلم سببها، بجانب حالة من الاستغراب لسرعة البديهة التي تتسم بها (هيام).

***

صباح اليوم التالي الساعة الثامنة والنصف صباحًا

بعد مرور نصف ساعة قضاها (أسامة) في تسجيل كافة الاحتياجات التي يرى أنها ستكون إضافة قوية للمكان سمع صوت طرقات على الباب فنظر إلى الساعة فوجدها التاسعة فتذكر هذا الموعد الذي أخبرته به (هيام) بالأمس، تحرك تجاه الباب وفتحه، رحب بـــــ(مصطفى) بعد أن عرفه الأخير بنفسه ثم دخل كلاهما إلى غرفة المكتب، سأله (أسامة) عن مشروبه فأخبره أنه يفضل القهوة في كوب فابتسم (أسامة) وأخبره أنه هو الآخر يفضلها في كوب، استغرق (أسامة) في تجهيز القهوة قرابة العشرة دقائق كان (مصطفى) قد تفحص المكان جيدا بحسه الأمنى ليتاكد أن ما يمر به الآن ليس فخًّا تنصبه له (هيام)، ثم عاد يعاتب نفسه على سوء ظنه فهي لا تُكِنُّ له أي كراهية حتى تكيد له ولكن دائمًا ما يكون حسه الأمني يقظًا إلى أقصى حد،

عاد (أسامة) إلى المكتب مرة أخرى وجلس على الكرسي المقابل لـــــ(مصطفى) وبدأ يحلل شخصيته بينما يتحدث كلاهما في دردشة سريعة يتعرف بها كلاهما على الآخر .

ـ (هيام) كانت قالتلي إنك بتدوّر على شغل وإن ليك خبرة في الحراسات الخاصة.

ـ تمام يا فندم، أنا ضابط متقاعد واشتغلت في الحراسات الخاصة مع أكتر من شخصية عامة بس زي ما حضرتك عارف إن كل فترة الشخصيات العامة بتفضل إنها تغير طقم الحراسة بتاعها علشان ميكونش في حد عارف عنهم كافة التفاصيل، وبالتالى أنا فضلت إني أبعد عن الشخصيات دي واختار شريحة تانية تكون بنفس مستوى الأهمية بس يكون في استقرار أكتر في العمل معاهم.

ـ تمام جدًا، طيب هل ممكن أعرف سبب التقاعد من الخدمة خاصة أن شكلك لسة صغير يا حضرة الضابط

ـ خلل معلوماتى نتج عنه إصابة خرجتنى من الخدمة أنا واتنين من طاقم العمل اللي كان معايا.

ـ طيب دلوقتى أنا في قدامي فرصة ممتازة ليك بس دى هتحتاج منك تركيز عالي جدًا وكفاءة لأن الشخصية اللي هخليك تقعد معاها كمان ساعة من أهم

الشخصيات في البلد ومن الناس المؤثرة بشكل كبير جدًا في الاقتصاد المحلي، وبالتالى لو قدرت تقنعه بيك هيكون نقلة كبيرة جدًا في حياتك سواءً على المستوى المادي أو المستوى المهني لأن معنى إنك تكون الحارس الشخصي لحد في المكانة دي دا هيخلي العين عليك بشكل قوي جدا.

أنصت (مصطفى) لكل ما أخبره به (أسامة) وأخذ يدون في رأسه الهام منه ثم بادره بالسؤال:

ـ يا ترى مين الشخصية المهمة اللي حضرتك بتكلمنى عنها دى يا دكتور، أنت كدة خلتنى عندى شغف كبير إني اعرف هو مين؟

ـ متقلقش كلها دقايق وبإذن الله هتشوفه وساعتها أنت اللي هتقرر

أنهى (أسامة) حديثه مع (مصطفى) وانطلقا بعد الانتهاء من القهوة، وقف (مصطفى) أمام المبنى الشاهق "لمؤسسة الناصر" ونظر إلى (أسامة) وعيناه تلمع ببريق هو مزيج ما بين الفرحة والدهشة ولكنه لم يبد أي رد فعل حتى اصطحبه (أسامة) إلى الداخل. رحبت موظفة الاستقبال ب(أسامة) وأخبرته أن المهندس (محمود) في انتظاره قبل البدء في اجتماع هام بعد ساعة من الآن فأخبرها أنه في طريقه إليه لتبلغه.

توجها إلى المصعد، وبينما هما في طريق الصعود تحدث (أسامة) عن بعض النقاط الهامة التي سيحتاجها خلال حديثه مع (محمود) وبعض الأمور الهامة

عن قطاع شركات الناصر والتي يرى أن (محمود) لن يغفل عن بعض الاسئلة التي سيوجهها إليه عن المؤسسة ليعرف مدى علم (مصطفى) بمكانته، فهو من الشخصيات النرجسية التي تعشق الظهور. وصلا إلى الطابق المنشود، فأشار إليه (أسامة) أن ينتظره حتى يطلبه للدخول، وبالفعل دخل إلى المكتب بينما انتظر (مصطفى) بالخارج. رحب (محمود) ب(أسامة) وأخبره عن مدى سعادته بما أنجزه مع الفريق وأنه فخور به، امتد الحديث بينهما دقائق قليلة هاتف بعدها (محمود) السكرتارية ليسمحوا لـــــ(مصطفى) بالدخول.

دخل (مصطفى) وتولى (أسامة) كسر الجليد بينهما، ودار حديث بين (محمود) و(مصطفى) استشف خلاله (محمود) مدى حنكة وذكاء هذا الشخص الجديد، فطلب منه أن ينتظر في الخارج حتى ينهى حديثه مع الدكتور (أسامة)، وأخبره عن مدى سعادته بالتعرف اليه.

أنهى (محمود) حديثه مع (أسامة) وأجرى اتصالًا بمسئول الموارد البشرية ليجهز عقد (مصطفى) وأبلغه بكافة الأمور المتعلقة به، ثم خرج مع (أسامة) مرورًا ب(مصطفى)، صافح كلاهما واعتذر لالتزامه بموعد اجتماع هام وطمأن (مصطفى) أن (أسامة) سيخبره بكافة الأمور التي سيحتاج إليها وتمنى لهما التوفيق.

بعد قليل أتى أحد العاملين بإدارة الموارد البشرية وأجرى مقابلة عمل مع (مصطفى) انتهت بتوقيعه لعقد متميز شكر بعده (أسامة) كثيرًا على تعاونه وأخبره أنه ممتن لذلك، تعانق كلاهما ثم انصرف بينما صعد (أسامة) إلى قاعة التدريب ليعد كافة احتياجاته لبدء محاضرة اليوم.

كان اليوم ممتعًا إلى أقصى حد بالنسبة ل(أسامة)، خاصة أنه اليوم سينهى التدريب باكرًا ثم يعود إلى العيادة لينهي ما كان يفعله في الصباح، قبل أن يتجه إلى المنزل، فقد اشتاق إلى (هيام) حد الثمالة.

***

بعد مرور ثلاثة أيام

أنهى (مصطفى) كافة الأوراق التي طُلبت منه ثم ذهب إلى الشركة لتسليمها، سأل عن دكتور (أسامة) إن كان متواجدًا أم لا فأجابته موظفة الاستقبال أنه يلقى محاضرة الآن في قسم التدريب، أعرب عن رغبته في الحضور إن كان هذا ممكنا، فطلبت أن ينتظر حتى تستأذن دكتور (أسامة)، مرت دقائق قليلة أتى بعدها فرد من الأمن وأخبر (مصطفى) أن يتبعه حتى وصلا إلى قاعة التدريب. طرق الباب عدة طرقات ثم فتحه ودخل إلى القاعة وجلس على أحد المقاعد وحيّا (أسامة) برأسه ثم بدأ بالاستماع إلى ما يلقيه، مر الوقت سريعا على من بالقاعة ولكنه بالنسبة له كان يسير بسرعة السلحفاة.

أنهى (أسامة) التدريب ثم اصطحبه إلى غرفة ملحقة بالقاعة التي كانوا فيها منذ لحظات، جلسا وتبادلا أطراف الحديث، وأظهر (مصطفى) امتنانًا كبيرًا ل(أسامة) على مساعدته في الحصول على العمل، رحب (أسامة) بذلك وأخبره أنه من اليوم بإمكانه أن يعتبره صديقه. انتهى اللقاء وانصرف (مصطفى) عائدًا إلى منزله، وفى طريقه اتصل ب(هيام) ليشكرها على حسن صنيعها معه، وجد صوتها متهدجا من أثر النوم فاعتذر منها قائلًا إنه سيتصل في وقت لاحق.

لم يكد يغلق باب الشقة خلفه حتى ارتفع صوت هاتفه، وجد (هيام) المتصلة فأجابها بعد أن أغلق الباب وذهب إلى غرفته، بادرته الحديث فاعتذر عن اتصاله في وقت نومها، فقالت إنه أحسن باتصاله في هذا التوقيت وإلا لم تكن لتستيقظ إلا عند عودة زوجها من العمل.

طال الحديث بينهما في أمور عدة، بدأت بعض الفكاهة تتسلل إلى حديثهما، راق له الأمر وجارته هي فظلا يتحدثان حتى بدأ الجوع يلح عليه بشدة، فاعتذر لها وذهب لإعداد بعض الطعام ليتناوله، ثم جلس أمام اللاب توب لتعديل كافة طلبات العمل التي سبق وقدمها على المواقع الالكترونية التي كان يبحث فيها عن وظيفة. وبعد قليل سمع صوت إشعار من الهاتف فجلبه

ونظر إليه فوجد (هيام) قد أرسلت إليه رسالة من طولها لم يستطع أن يقرأها إلا بعدما فتحها.

ـ مبسوطة جدًا إني قدرت أساعد ولو بحاجة بسيطة، ومبسوطة أكتر بكلامى معاك النهاردة، أتمنى متكونش متضايق من دا ولو فاضي النهاردة ووقتك يسمح أنا هكون موجود في الكافيه اللي اتقابلنا فيه المرة اللي فاتت، لوحابب تيجى هكون مبسوطة، أنا هكون موجودة من الساعة 8، أتمنى أشوفك هناك.

أنهى قراءة الرسالة ووجهه يمتلئ بعلامات استفهام كثيرة لا يعلم لها سببًا، ولكن ما اثار حنقه أنه شعر بسعادة عندما علم أنه سيلقاها اليوم، أعد ملابسه التي سيقابلها بها في نهاية اليوم ثم أخرج الملابس الرياضية وعاد إلى الشارع مرة أخرى وبدأ في الركض حتى كلّت قدماه من الإرهاق.

بدأت (هيام) تبحث في خزانة ملابسها عن أحد الفساتين التي تعشقها حتى وجدته، أعدت الفستان جيدا ثم وضعته في مكان يسهل الوصول إليه عندما يحين موعده ونظرت إلى الساعة فوجدت أن الوقت قد حان لتبدأ في إعداد الطعام لــــ(أسامة) فقد اقترب موعد عودته من العمل. أنهت مهمتها ووضعت الطعام على الطاولة وأضاءت الشموع، وبعد قليل أتى أسامة

وتناولا الطَّعامَ ثم جلسا يشاهدان التلفاز حتى اقتربت الساعة من السابعة مساءً فأخبرته أنها ستخرج مع صديقاتها فلم يعترض.

مرت الدقائق عليها طويلًا وكأنها لا تريد اليوم أن ينتهي، ظلت تنظر إلى الساعة في يدها كثيرا ثم تنظر تجاه باب الدخول، اقترب منها النادل فأخبرته أنها تريد عصير ليمون فأومأ لها ثم أنصرف بعد أن وضع زجاجة من المياه وكوبًا فارغًا، تخطت الساعة الموعد المحدد وبدأ التوتر يدب في قلبها، اعتقدت أنه لن يأتي وبدأت التساؤلات تدور في عقلها ولا تجد لها إجابات شافية، شردت قليلا حتى انها لم تشعر بالنادل وهو يضع كوب العصير أمامها وينصرف، لا تعلم ما الذي جعلها تتذكر الفترة التي دبت فيها الخلافات بينها وبين (أسامة) ولكن يبدو أن الاحزان عندما تتجمع تأتي بكل حمولتها ولا تأتي منفردة، فكما قال المثل القديم المصائب لا تأتي فرادى، استغرقتها أفكارها حتى أنها لم تشعر بوصول (مصطفى) الذي جلس أمامها وأخذ كوب العصير وارتشف منه القليل قبل أن يعلّق بأنه يحتاج إلى بعض قطع الثلج لأنه لم يستسيغه هكذا. انتفضت من مكانها فزعة فهدأ من روعها، سألته منذ متى وهو جالس هنا فقال مبتسمًا أنه أتى منذ لحظات قليلة ولكنها لم تشعر به.

بدأ الحوار يأخذ مجراه فيما بينهما ولكنه شعر أنها ما زالت ساهمة. لم يرد أن يتطفل عليها، لكنه لا يحب أن يجلس معه أحد وتركيزه في مكان آخر، حاول

أن يلقي دعابة حتى يخرجها من هذا الشرود، رغم أن هذا ليس من طباعه ولكنها ظلت كما هى، اقترب النادل مرة أخرى فطلب (مصطفى) كوبا من القهوة وطلب لها فنجانا، انصرف النادل بعد أن حمل كوب العصير الذي لم يمسه أحد سوى (مصطفى) ثم عاد الحوار إلى مسيرته مرة أخرى

ـ خير يا (هيام)، حاسس إنك مش هنا خالص، أنا جيت في وقت مش مناسب ولا أيه؟

ـ لا خالص أنا بس افتكرت حاجة كنت بحاول أنساها بقالى كتير بس غالبا مش قادرة، وللاسف الذكرى دى حضرت دلوقتى علشان كدة كنت مركزة فيها اوى، أنا اسفه.

عادت (هيام) مرة أخرى إلى تركيزها فشكرها على صنيعها معه وعلى المجهود الذي بذله (أسامة) من أجله، فبالفعل هذا العمل هو ما كان يبحث عنه منذ فترة طويلة ولكنه لم يوُفق في الحصول عليه إلا بمساعدتها هى وزوجها. أومأت برأسها وعلى وجهها شبح ابتسامة كأنها تخبره أنها قد وصلت الآن إلى نصف مبتغاها ويتبقى لها النصف الآخر.

عاد الحديث بينهما ثانية، أعرب عن إعجابه بفستانها مما زادها بهجة، اقتربت الساعة من العاشرة مساءً فنبهها (مصطفى) أن عليهما الرحيل الآن حتى لا

ينزعج (أسامة)، فوافقته على مضض وهي تلعن (أسامة) في سرها، وانصرفا على أمل اللقاء مرة أخرى قريبًا.

تعددت اللقاءات وطالت المدة التي يقضيانها معا حتى بدأ (مصطفى) يشعر أنها تحتل كل عالمه، يذهب إلى عمله فيهاتفها قبل الذهاب إلى العمل ثم يهاتفها وهو عائد، يهاتفها قبل نومه ثم يكمل حديثه معها على الإنترنت، ظل كلاهما على هذه الحالة لفترة ليست بالقليلة، تخاطبه هى فيشعر ببهجة كبيرة تجعل يومه مختلفا من بدايته وحتى نهايته، يمر اليوم ويأتى التالى فيخاطبها هو فتسعد بشكل كبير، حتى أن (أسامة) بدأ يلاحظ اعتدال حالتها المزاجية في الفترة الأخيرة، كما بدأ يشعر بسعادة لعودة العلاقة الحميمية بينهما كسابق عهدها وأفضل، لم يعلم ما السر خلف هذا التحول ولكنه بينه وبين نفسه تمنى أن تصبح حالتها النفسية مستقرة بهذه الكيفية، وليته لم يفعل.

بدأت المسافات تقل بين (مصطفى) و(هيام) كثيرا، أصبحت لا تبدأ يومها إلا عندما يرسل إليها صورة قبل ذهابه إلى العمل وبالمثل تقوم هى بارسال صورة، بدأ الأمر يتطور وبدأت الصور تفقد حيائها، أصبحت هى تنتظر اليوم الذي يتأخر فيه (أسامة) في العمل حتى تحادث (مصطفى) فيديو، تعلق كلاهما ببعض بشكل كبير، بدأ (مصطفى) يشعر بحالة غير طبيعية من الانجذاب تجاهها وبدأت هى تعد العدة لتصل إلى النصف الآخر مما خططت

له، ويبدو أنها اقتربت من الحد الفاصل الذي إذا اجتازته لن يكون هناك أي مانع في الحصول على ما تبتغيه، كل ما يهم أن يطاوعها هو في أمرها، ويبدو أن كيدها قد بدأ يأتي بمفعول السحر.

***

17

الساعة 8 مساءً

وصلت (ناهد) إلى الصومعة بالتجمع الخامس كما أخبرها (محمود)، اقتربت من الشارع الذي وصفه لها ثم توقفت واتصلت به، تابعت تقدمها بالسيارة حتى وصلت أمام فيلا ضخمة أشبه بقصر أحد الملوك، اقتربت من البوابة وقبل أن تعاود الاتصال به مرة أخرى وجدت الباب يفتح فتقدمت بالسيارة حتى وجدت نفسها في ممر طويل على جانبيه لمبات دائرية أحالت المكان إلى نهار، سارت (ناهد) وبدأت تتأمل المكان من حولها كأنها قد وقعت في مغارة لا تعلم عنها شيئًا، كل ما تعرفه هو الفيلا الصغيرة التي يمتلكها (محمود) في أحد الأحياء الراقية بمنطقة مدينة نصر ليكون بجوار المقر الرئيسى لشركاته، ولكن يبدو أن هناك الكثير مما لا تعلمه هى عن هذا الناصر!

دخلت إلى الفيلا بصحبة أحد العاملين بالمكان حتى وصلت إلى الغرفة التي يتخذها محمود مكتبا له، فوجدت المكتب له بريق خاص يجعل النظر إليه طويلا مرهقًا للعين، اقتربت من المكتب ثم جلست على أحد المقاعد وعينها تكاد تخرج من مكانها عندما رأت شاشة كبيرة بجوار (محمود) على منضدة وبها مجموعة كبيرة من الفيديوهات ولكنها عندما أمعنت النظر علمت أن كل

هذه الفيديوهات ما هى إلا كاميرات مراقبة وتسجيل لكافة أنحاء القصر سواء من خارجه أو من الداخل.

ـ طبعا أنا عارف إنك بتحاولى تستوعبى اللي بتشوفيه دا لأن دي أول مرة تشرفينى فيها في الصومعة، المكان دا تقريبا مفيش أي حد يعرف عنه أي حاجة، حتى لو حاولتي تيجي هنا تانى بالـ GPS البرنامج مش هيقرأ المكان لأنه تقريبا مش موجود على الخريطة، المكان دا هو الخلوة بتاعتى، باجى هنا لما بكون عاوز أبقى لوحدى أو محتاج أفكر في حاجة مهمة أو لو عندى نزوة من النزوات اللي انتى هتموتي على واحدة منها.

أنهى جملته الاخيرة وغمز لها بعينه فابتسمت له ابتسامة صفراء وهي ما زالت تحاول استيعاب ما يحدث، فالوقت ليس مناسبًا أبدًا لهذا الحديث ولكنها تعلم جيدًا أنه لا يمكن لأحد أن يقدم لها يد العون للهروب من هذا المأزق الذي وضعها به (محمد الهادى) إلا (محمود)!

ـ قلتيلي بقا أن (محمد الهادى) طلب يقابلك ولما قعدتوا اتكلم معاكي في الشغل اللي أنا وانتى بنعمله مع بعض، أو زي ما هو شايف المعلومات اللي انتي بتزودينى بيها.

أومأت برأسها دون أن تنطق بكلمة فابتسم لها ثم أكمل حديثه

ـ تمام، يعنى هو دلوقتى عارف أن كل الداتا اللي كان مخبيها بقيت موجودة تحت إيديا وبالتالي هو هيحاول يؤمِّن نفسه بس من غير ما يُظْهِر ليا إنه عارف حاجة، بجانب إنه كلمك انتي بشكل مباشر لأنه عارف إنك على تواصل معايا، يعني هو بيوصلى رسالة غير مباشرة إنه عرف الكارت اللي أنا بلعب بيه وبالتالي هيحاول يحرق الكارت دا، واللي أنا اصلا مش ناوي أستخدمه في الفترة الحالية خالص.

استوقفتها الجملة الاخيرة، وكان على وجهها عدة تساؤلات ولكنها لم تقوى على الحديث إلا بعد أن يأذن لها (محمود)، خاصة بعد حالة الاضطراب التي تشعر بها منذ خرجت من الكافيه الذي جمعها ب(الهادى). نظر إليها (محمود) وأكمل حديثه.

ـ المفروض إنه دلوقتى يكون بيدوَّر على أي كارت يقدر يلاعبني بيه، بس برضه هيبقى من تحت لتحت لأن هو عارف إن مينفعش اللعب يكون على المكشوف خاصة إن دا ممكن يؤثر عليا وعليه في نفس الوقت وهو مش غبي إنه يستخدم كارت يضره زي ما هيضرني، يبقى كده الموضوع كله هيبقى حرب نفسية، وهنا الفيصل الوحيد هو النفس الطويل، خاصة إن لسه فاضل فترة مش قليلة على ما ندخل على التحكيم، هو مش هيسيب الموضوع يمر

مرور الكرام، وأنا مش هخسر كل اللي دفعته دا علشان حتة عيل لسة ابن امبارح فاكر نفسه حاجة وجاى علشان ينافسنى في ملعبي.

سمعت ما قاله (محمود) وبدأ القلق يدب في قلبها، حتى شعرت أنه سيتوقف من شدة الخوف؛ لا تعرف ما الذي أقحمت نفسها فيه، كل ما في الأمر أنها كانت ترغب في (محمود) ولكن يبدو أن الأمر لم يعد تحت سيطرتها كما كانت دائما تخبر نفسها. إنها مجرد نزوة وستزول مع مرور الوقت، ظلت صامتة تترقب ردود أفعال (محمود) وهي تنظر في شتى الاتجاهات وتحاول أن تجد أي شيء تهدئ نفسها به ولكنه لم يترك لها هذا المجال، حيث عاد يحادثها مرة أخرى ولكنها كانت قد فقدت السيطرة على حواسها من شدة القلق فلم تستطع أن تفهم ما أخبرها به، فأومأت برأسها أنها موافقة ثم تحركت من مكتبه وتوجهت إلى باب الخروج من الصومعة وهي تلعن محاولتها أن تقحم نفسها في هذا الصراع، خاصة أنها لم تكن تعلم شيئًا عن الجانب الخفى من (محمود) والذي بدأ يظهر الآن!



١٨

اقتربت الساعة من العاشرة صباحا، استيقظت (هيام) على صوت الهاتف فتكاسلت في الرد عليه حتى انتهى الاتصال، حاولت النوم مرة أخرى ولكن يبدو أن المتصل لن يهدأ حتى يصل إلى مبتغاه فعاد الهاتف إلى الاهتزاز مرة أخرى، أمسكته لتجد المتصل (أسامة) فأجابته وهي تحاول أن تخبره أنها ما زالت نائمة، ولكنه لم يعر ذلك اهتمامًا وأخبرها أنه قد طرأ لديه أمر ما، فقد طلب منه (محمود) السفر إلى أحد فروع الشركة بالساحل الشمالى وفى الغالب سيقضي ليلته هناك إن لم يستطع الانتهاء مبكرًا، فتمنت له السلامة وأغلقت المكالمة وعادت مرة أخرى إلى نومها. لم يمر الكثير من الوقت قبل أن يأتيها اتصال آخر، وهذه المرة أجابته مسرعة دون أن تنظر إلى شاشة الهاتف، وهي تتصنع بعض الغنج الانثوى، فهى تعلم جيدًا من المتصل من النغمة التي قد خصصتها له.

دار حوار قصير بينها وبينه لم يتجاوز الدقائق الأربع ثم أغلقت المكالمة وبدأت حواسها تستفيق ويعود تركيزها إليها مرة أخرى، توجهت إلى الحمام وحاولت أن تستفيق بشكل جيد.

***

اقترب (أسامة) من بوابات القاهرة فقام بتشغيل بعض الموسيقى التي يحبها لتمضية الوقت أثناء الطريق، حاول استغلال هذا الوقت في التفكير بعدة

أمور كان لا يجد وقتًا كافيًا للتفكير فيها، وها هو الوقت يأتيه على طبقٍ من فضة.

حلمٌ طال انتظاره بات الحصول عليه وتحقيقه وشيكًا، مرحلة من أصعب ما يكون من الضغط العصبى والنفسي كان يمر بها ولكن فرج الله قريب، بعد كل ما مر به ها هو الحظ يبتسم له مرة أخرى ويعوضه الله بالعمل مع هذه المؤسسة الكبيرة التي فتحت له أبواب النعيم، ولكن هل من الممكن أن تكون أبواب النعيم هى نفسها أبواب الجحيم، هل من الممكن أن يخبئ القدر لنا ما لا طاقة لنا به، هذا ما كان يخشاه (أسامة). فبعد التعب الذي مر به طوال الفترة الماضية، وجد أن الدنيا تبتسم له بشكل كبير، فبدأ يشعر بالقلق كما هى عادة كل المصريين، بدأ قلبه يحدثه أن هناك أمر ما سيء على وشك الحدوث، حاول أن يغير تفكيره إلى أمر ايجابى بعض الشيء فبدأ يفكر في المكاسب التي يحصل عليها منذ بدأ عمله مع (محمود ناصر)، فها هو يرسله إلى أحد فروع الشركة بالساحل الشمالى لإلقاء محاضرة تحفيزية للعاملين بفرع الشركة وسيجزل له العطاء، ولكن لماذا كل هذا التعاون غير المبرر؟ يبدو أن هناك أمر ما سيتضح قريبا. أخذت الأفكار تدور وتتداخل في عقله بشكل جنوني حتى شعر أنه سيفقد السيطرة على عجلة القيادة فهدأ من توتره قليلا، ثم شرع يستمتع بالموسيقى الهادئة مع الجو الجميل باقي الطريق الذي استغرقه ثلاث

ساعات منذ إجتاز بوابات القاهرة وحتى وصل إلى الساحل الشمالى. وصل إلى المكان المنشود كما وصفه له (محمود)، صف سيارته ودخل إلى الشركة، عرّف نفسه لمسؤول الاستقبال فرحب به وأخبره أن (محمود) قد أبلغهم بأن الدكتور (أسامة) سيكون متواجدًا معهم اليوم وربما يبيت في الإستراحة الخاصة.

صعد بصحبة أحد أفراد الامن إلى غرفة الاستضافة وجلس ليستريح من عناء السفر، شرب قدحا من القهوة ثم بدأ في المراجعة السريعة على الكلمة التي سيلقيها في هذه المحاضرة، أخرج اللاب توب وبدأ يتذكر كل موقف مر به أثناء شرح هذه المحاضرة من قبل، بدأت علامات الارتياح تظهر جلية عليه، مرت دقائق قليلة حتى أتى إليه أحد العاملين بالسكرتارية يخبره أن القاعة مجهزة والحضور متواجدون بالكامل. دخل إلى القاعة وبدأ المحاضرة وانهمك بها ولم يشعر بالوقت حتى أتى موعد الاستراحة الأولى، فحاول الاتصال ب(هيام) للاطمئنان عليها ولكنه وجد هاتفها غير متاح، حاول الاتصال أكثر من مرة ولكن لم يحالفه الحظ، فعاد إلى المحاضرة وأكمل يومه بشكل جيد، تناول غداءه بعد أن أنهى المحاضرة ثم ركب سيارته وتوجه إلى القاهرة، فقلبه يخبره أن هناك خطب ما. كان يطوي الطريق طيًا يثير الرعب في الأبدان حتى وصل إلى بوابات القاهرة، توجه إلى المنزل مباشرة، صعد درجات السلم

كأنه في سباق عدو يحاول الوصول في المركز الأول، وقف أمام باب الشقة يلتقط أنفاسه وهو يخرج المفتاح ويضعه في الباب، دخل الشقة فوجد الأضواء هادئة ولكنه لم يجد أحدًا في المكان، حاول الاتصال ب(هيام) عدة مرات فوجد الهاتف غير متاح كما هو فدخل إلى غرفة نومه وجلس يستريح على المقعد الموجود بجوار الفراش، وعندما نظر إلى الكومود وجد هاتف زوجته موضوعًا عليه ولكنه مغلق، تناول الهاتف وفتحه فوجده مشحونًا حتى آخره فغزت علامات التعجب وجهه.

أعاد إغلاق الهاتف وأعاده كما وجده ثم أخذ حماما دافئا يزيل عنه إرهاق السفر وإلقاء المحاضرة واقفًا، ثم عاد إلى الغرفة وقبل أن يلقى بجسده على السرير سمع صوت الباب يغلق فلم يحرك ساكنًا، مرت لحظات قليلة حتى فتحت (هيام) باب الغرفة وهي في حالة انتشاء غير طبيعية، تفاجأت عندما وجدته مستلقيًا على الفراش وينظر إليها ويبدو على وجهه عدم الارتياح للحالة التي أتت عليها، أقبلت عليه وقبّلته قائلة إنها اشتاقت إليه كثيرًا فأخبرها بالمثل.

ـ اتصلت بيكى كتير النهارده بس التليفون كان غير متاح، خير يا حبيبتى في حاجة؟

ـ لا أبدًا أنا كنت في مشوار ونسيت الموبايل وغالبا فصل شحن علشان كده كان غير متاح، حمدًا لله على سلامتك يا حبيبى، أكلت ولا أجهزلك تاكل؟

لم يشعر بالارتياح لما سمعه منها، فقد رأى بنفسه الهاتف وهو مغلق وموضوع على الكومود ومن الواضح أنه تم إغلاقه عن عمد، أخبرها أنه تناول الطعام قبل الخروج من الشركة وأنه يريد أن يرتاح.

قبلته وارتمت بجسدها البض بجواره على الفراش وحاولت أن تضمه ولكنه تصنع الإرهاق قائلًا إنه يريد أن يستريح، وبعد قليل غرق في سبات عميق ولكن عقله يخبره أن هناك ما يجهله ولا بد أن يصل إلى جواب.

***

عاد (مصطفى) من الخارج ويبدو عليه حالة من الراحة والفرحة، أناقته التي خرج بها صباحًا لم يعد لها وجود، فرابطة العنق كان يطويها في يده والأزرار الأولى في قميصه مفتوحة، يبدو أن اليوم كان مرهقًا إلى الحد الذي جعله لا يهتم بمظهره وهو عائد إلى المنزل بهذه الشاكلة. بدأ يغني وهو يتجول بالشقة ثم أخذ حمامًا دافئا وعاد إلى غرفته مرة أخرى، أمسك الهاتف وفتح الإنترنت وأرسل رسالة إلى هيام يخبرها عن مدى سعادته بهذا اليوم ثم وضع الهاتف على الكومود وبدأ يسير في أرجاء الشقة وهو يفكر في كل لحظة مرت بينه

وبينها وكل فعل قاما به، بدأت علامات السعادة ترتسم على وجهه فهو لم يحظَ من قبل بعلاقة مثل التي يعيشها مع (هيام) هذه الأيام.

***

اليوم التالي ... الساعة الخامسة صباحًا

استيقظ (أسامة) على صوت هاتفه يعلن عن وصول رسالة جديدة، امسك الهاتف ونظر إليه فلم يجد أي أثر للرسالة، حوّل نظره إلى الهاتف الآخر الموجود على الكومود المجاور لـــ(هيام) فوجد شاشته مضاءة فأمسكه وحاول فتحه لكنه فوجئ برقم سري له. امتلأت قسمات وجهه بالغضب ولكنه لم يحاول إيقاظها من نومها، وضع الهاتف كما هو ثم نهض عن الفراش وخرج إلى الشرفة الرئيسية يتطلع إلى الابراج المحيطة به وتذكر وقت كانت هذه المنطقة فارغة إلا من بعض الأبنية القديمة، ومنها البناية التي يقطن فيها. ظل واقفًا حتى هداه تفكيره إلى أن يذهب إلى مكتبه ثم يحاول كتابة بعضًا من مذكراته في دفتره؛ في طريقه إلى الباب، لمح (هيام) تتكئ على جانبها ممسكة بالهاتف ويبدو أنها تتحدث بصوت خفيض، اقترب من غرفة النوم وحاول أن يسترق السمع ولكنه لم يستطع أن يحصل على أي شيء، لحظات وسمعها تضع الهاتف في مكانه على الكومود فذهب إلى المكتب وأخرج دفتره وشرع في الكتابة، لم يعلم من أين يبدأ ولا عن ماذا يكتب ولكنه حاول جاهدًا أن يكتب

عن كل ما يدور بخلده، عله يستطيع أن يخرج نفسه من حالة الشك التي بدأت تسيطر عليه بشكل جنوني.

حاول الكتابة في المرة الأولى ولكنه لم يوفق فمزق الورقة التي كانت بين يديه وبدأ الكتابة في أخرى، ظل على هذه الحالة وقتًا ليس بقليل، وعندما انتهى من التدوين أمسك الورقة وأخذ يتفحص محتواها فوجد أنه لم يقم بكتابة أي شيء وإنما قام بعمل بعض الخطوط المتشابكة والتي لا تعنى شيئًا مفهومًا على الإطلاق. وضع الورقة جانبا ثم أمسك أخرى وحاول أن يدون فيها ولكن باءت كل المحاولات بالفشل، حيث ظل يرسم هذه الخطوط ولم يشعر بذلك إلا عندما وجد (هيام) تطرق باب المكتب قبل أن تدخل لتطمئن عليه. سألته إذا كان يود تناول الإفطار الآن أم لا فأجابها أنه تناول القليل بعد استيقاظه وأنه لا يشعر بالجوع الآن، انحنت تجاهه وقبلته ثم عادت إلى غرفتها مرة أخرى وفى طريقها سألته ما إذا كان هناك ما يستدعى خروجه اليوم أم أنه سيقضى اليوم بصحبتها فأجابه أنه لا يعلم حتى الآن ما الجدول الذي سينظمه لهذا اليوم، ابتسمت له ثم أكملت سيرها بينما ظل هو يفكر في سبب السؤال، أصبح وسواسه يخبره بأن هناك أمر كبير لا يعلم عنه شيئًا ولا بد أن يبدأ في التدقيق في كافة الأمور حتى يستطيع حل هذا اللغز. مر الوقت سريعًا وهو ما زال غارقًا في أفكاره، أمسك في يده الأوراق التي رسم عليها وبدأ

يحلل ما فعله فوجد أنه يعانى من اضطراب في محتوى التفكير، حاول أن يعرف السبب ولكنه لم يستطع أن يجد أمرًا محددًا، فهو في حالة ضغط دائم بسبب العمل، وفى الفترة الأخيرة كثرة تفكيره في تغير (هيام) وبعض الأمور التي يراها غير طبيعية بالمرة، سواء المحادثات التي تنهيها فور رؤيته أو حديث منتصف الليل أو ذهابها كثيرًا إلى النادي، كل هذه الامور تركت انطباعًا غير جيد لديه، رغم أنه حاول مرارًا أن يتغاضى عن الكثير من الأمور، ولكنه لم يستطع أن يترك الأمر يمر عليه مرور الكرام. اختبرها كثيرًا وتأكد من أنها تكذب عليه، ولكنه لم يرغب في مصارحتها لحاجة في نفسه.

اقتربت الساعة من الثانية عشرة ظهرًا فتوجه إلى غرفته واستبدل ملابسه وأخبر (هيام) أنه قد يتأخر اليوم، ولكنه لم يخبرها إلى أين سيتجه، انتظر أن تسأله هى فلم يجد منها أي رد فعل سوى ابتسامة عريضة ارتسمت على وجهها بعد أن دعت له أن يعود إليها سالما في نهاية اليوم. أكمل ارتداء ملابسه ثم انصرف، وفور أن تحرك بالسيارة قامت (هيام) بتبديل ملابسها وهمت بالخروج من المنزل. توجه (أسامة) إلى الكافيه وجلس على الطاولة المعتادة فوجد شابًا جديدًا يقترب منه ويسأله عن طلبه، طلب كوبا من القهوة وسأله عن زميله الذي كان يتواجد في مثل هذا التوقيت فأخبره أنه ترك

العمل والتحق بوظيفة أخرى، أومأ (أسامة) وأشار له بالانصراف، ثم جلس يطالع هاتفه ويرى ما الجديد.

أتى النادل ووضع القهوة على الطاولة وبدأ (أسامة) يرتشف القليل منها فلم يجدها بنفس الجودة التي كانت عليها في المرات السابقة، امتعض قليلا ولكنه أكمل الكوب لأنه يحتاج إلى نسبة الكافيين الموجودة فيه عله يهدئ من ثقل الأفكار التي تتصارع في عقله، مرت دقائق قليلة أنهى فيها قهوته ثم ترك الحساب على الطاولة وانصرف، وبينما هو في طريقه إلى الكورنيش سمع صوت رسالة وصلته على هاتفه، فتحها فوجد محتواها غامضًا بشكل مريب، " افتح الماسنجر في الحال وانتظر رسالتي". نظر (أسامة) إلى الرسالة طويلا ولم يفهم مغزاها ولم يعلم من صاحبها، حاول الاتصال به ليجد الرقم مغلقًا.

نظر (أسامة) أمامه فوجد الطريق هادئًا على غير العادة، فزاد من سرعته قليلًا قبل أن يزدحم. أتته رسالة أخرى " التأخير مش في مصلحتك "، استفزت الجملة (أسامة) بشكل كبير ففتح الإنترنت ونظر إلى الماسنجر ليجد رسالة من شخص ليس في قائمة الأصدقاء، فتحها فتتالت مجموعة من الصور قيد التحميل، انتظر قليلًا حتى بدأت الصور في الظهور واحدة تلو الأخرى، وحين تأملها لم يستطع تمالك أعصابه، انفلتت عجلة القيادة من يده ولم يستطع السيطرة على السيارة عندما وجد أحد المارة يقف فجأة أمامه وقد

جمَّده الخوف بعدما رأى السيارة متجهة ناحيته بسرعة جنونية وهي غير ثابتة، فوضع كفيه على عينيه وانتظر تصادم السيارة بجسده. لكن الرجل فوجئ عندما سمع صوت الارتطام بعيدًا عنه بمسافة لست بالكبيرة، فتح عينيه ليجد السيارة التي كانت على وشك الاصطدام به وقد اصطدمت بالحاجز الموجود أمام محطة الوقود الموجودة بالقرب من محطة مترو الزهراء، ثم انحرفت لتصطدم بقوة في الحائط الخرساني وتنقلب رأسًا على عقب.

هرول بعض المارة تجاه السيارة في محاولة منهم لاخراج هذا السائق المتهور في نظرهم، بينما (أسامة) لا يستطيع أن يميز أي شيء مما يدور حوله سوى بعض الضوء الذي يظهر ثم يختفي مرة أخرى. بعد دقائق ارتفعت أصوات سيارة الاسعاف تبعتها سيارة الشرطة، أحاط عدد كبير من الناس عمال الاسعاف وهم ينقلون (أسامة) على الترولى ثم انصرف الجميع بينما ظل أفراد من الشرطة لحراسة موقع الحادث حتى يتم الانتهاء من المحضر. وصل (أسامة) إلى المستشفى وأدخله الأطباء إلى قسم الطوارئ؛ ظلت الانوار تضيء وتنطفئ وهو يرى حركة سريعة من حوله ولكنه لا يستطيع أن يميز ماذا يحدث حتى أظلمت الدنيا تماما وغاب عن الوعي.

مرت الدقائق ثقيلة على الطاقم الطبي، فالحالة شديدة الصعوبة لأن المريض أصيب بارتجاج في المخ قد يؤدي إلى فقدان مؤقت في الذاكرة، بالاضافة إلى

العديد من الكسور في أماكن متفرقة من جسده. حاول الأطباء القيام بكل ما هو مطلوب من أجل الحفاظ على حياة (أسامة) ولكن الأمل كان ضعيفًا بسبب تلك الكدمة الشديدة التي أصيب بها في رأسه. مرت قرابة الساعة ونصف ومازال (أسامة) في غرفة العمليات، بينما اتصل أحد العاملين في الاستقبال بزوجته بعدما وجد في متعلقات (أسامة) الشخصية رقم (هيام) مدونًا بورقة ومكتوب عليها (في حالة الطوارئ يرجى الاتصال على هذا الرقم). وصلت (هيام) وتوجهت إلى قسم الطوارئ مباشرة لتسأل عن زوجها، أخبرتها موظفة الاستقبال أنه في غرفة العمليات منذ أتى ولم يخرج حتى الان، فبدأت علامات الهلع تظهر جلية عليها؛ توجهت إلى غرفة العمليات وظلت تراقب الباب حتى فتحه أحد الممرضين وخرج الطبيب والدم يملئ ملابسه، هرولت (هيام) إليه لتسأله عن حالة (أسامة) فطمأنها أن حالته مستقرة حتى الآن بعد إجراء العملية وأنه في حالة مرور الثمان والأربعين ساعة القادمة على خير ستزداد نسبة نجاته، ألقى الطبيب هذه الكلمات إلى (هيام) ثم انصرف.

***

ذهب (مصطفى) إلى (هيام) بالمستشفى بعد أن علم بما حدث لزوجها ولم يرغب في تركها وحدها، ثم اتصل ب (محمود) وأخبره بما حدث فرد عليه الاخير بأن يظل مع زوجة (أسامة) حتى يستفيق.

ظل (مصطفى) معها، ثم انصرف عندما انتهى موعد تواجد الزائرين بالمستشفى على أن يعود إليها في الصباح الباكر قبل ذهابه إلى العمل.

فى صباح اليوم التالى أتت والدة (هيام) تهرول بعدما اتصلت على هاتف (هيام) وأجابها (مصطفى) وأخبرها بكل ما حدث، فأتت وهي منهارة ولا نعرف ما الذي يجب عليها فعله. ظلت بجوار ابنتها حتى تحسنت حالتها قليلا ولكن لم يجد أي جديد بالنسبة لحالة (أسامة)، حاولت أن تفهم من الطبيب المتابع له سبب فقدانه للوعي كل هذه الفترة فأخبرها أن الحادث كان شديدًا وأن جسده عليه أن ياخذ الوقت الكافي حتى يستطيع استعادة الوعي مرة أخرى، كما نوّه أنه من الممكن أن يكون هناك بعض الخلل في تصرفات (أسامة) بسبب الإصابة التي تعرض لها برأسه.

بدأت (هيام) تستعيد اتزانها ولكنها ما زالت منهارة بشكل كامل بسبب ما حدث، حاولت كثيرا أن تدخل إليه في غرفة العناية المشددة ولكن الطبيب رفض بسبب حالته الصحية وأخبرهم أنه فور تحسن حالته سيسمح لهم

بالدخول إليه واحدًا تلو الآخر، ولكن في الوقت الحالى لا يمكنهم فعل أي شيء سوى الانتظار والدعاء له.

اقتربت الساعة من السادسة مساءً فاعتذر (مصطفى) لاضطرراه للانصراف ولكنه وعدهم بالعودة في صباح اليوم التالى، شكرته والدة (هيام) بينما ظلت (هيام) تنظر له والدموع تملأ عينيها ولكنها لا تستطيع أن تقول له أي شيء بينما أخبرته عينيها بكل ما تريد، وعلم هو أكثر مما يجب أن يعلم. انصرف (مصطفى) من الغرفة واتصل ب(محمود) وأخبره أنه انصرف من المستشفى ويمكنه أن يأتى إليه إن كان يحتاجه في أي شيء قبل نهاية اليوم، فنصحه (محمود) بأن يذهب إلى المنزل ويستريح ويأتي إلى الشركة في الصباح الباكر. بينما هو في طريقه إلى خارج المستشفى شعر بخطوات تتبعه فتوقف ونظر خلفه لكنه لم يجد إلا العاملين في المستشفى فقط ولم يميز أي شيء مختلف، اقترب من باب الخروج بالمستشفى ثم توجه إلى الطريق ليستقل سيارة أجرة، وفور أن اقترب من الطريق سمع صوت مكابح سيارة ترتفع بشكل مفزع، حاول النظر إلى اتجاه الصوت ولكن أحدهم عاجله بضربه قوية على رأسه ففقد الوعي، وتم وضعه في سيارة سوداء لا تحتوي على لوحة أرقام، وانطلقت مسرعة قبل أن يلحظ أحد ما حدث. فرت السيارة سريعا وهو بداخلها بينما جلس بجواره شخص قوى البنية خلع القناع الذي كان يضعه

على وجهه وارتسمت على قسماته ابتسامة نصر ثم أغمض عينيه ووضع يده على كتف (مصطفى) فظهرت بعض النقوش الغريبة التي وشم يده بها ثم اختفت السيارة بين الزحام، ولم يعرف أحد بما حدث إلا ذلك الذي أتاه اتصال ليخبره بأن المهمة قد تمت على أكمل وجه، فأثنى على الرجال وأمرهم بأن يصلوا إلى المكان المحدد ثم يبلغوه وسيأتى إليهم.

مرت قرابة الساعة ونصف الساعة كانت السيارة قد قطعت خلالها مسافة كبيرة حتى وصلت إلى مبتغاها، ترجل منها هذا الضخم فوجد أحد الرجال في انتظاره فأشار إليه بحمل (مصطفى) معه حتى يدخلاه إلى مكانه، وبالفعل حملاه كلاهما ثم تحركا حتى وصلا إلى درجات سلم تتجه إلى الاسفل، أسرع الأول بالنزول حتى وصل إلى باب الدخول ففتحه ثم دلف كلاهما إلى الداخل، سارا قليلًا حتى وصلا إلى بوابة حديدية تشبه بوابات السجن، وضعاه في الغرفة ثم قيدا يديه وقدميه وقام هذا الضخم بإحداث عدة جروح في أماكن متفرقة من جسده ثم تركه وخرج من الغرفة وأغلق الباب ثم خرج من هذا السرداب وأغلق الباب الرئيسى فأظلمت الدنيا.

***

١٥

صوت أقدام تسير ببطء يثير في النفس رعبًا شديدًا، صوت المزلاج يرتفع ثم يبدأ الباب في التحرك ويظهر من خلفه ظل شخص ضخم البنية ويضع على وجهه قناعا يخفى ملامحه، اقترب من بداية الممر حتى ظهرت أولى الغرف، تحرك باتجاه الغرفة الاخيرة في الممر ممسكًا في يده قطعة من الحديد يطرق بها على الأبواب التي يمر بها جميعا، أربعة أبواب تصطف بجوار بعضها البعض، صوت احتكاك الحديد يثير قشعريرة في الجسد ولكنه لا شيء مقارنة بما يشعر به هؤلاء الاشخاص الموجودون في الغرف.

وصل هذا الضخم إلى الغرفة رقم واحد، وقف أمامها ثم فتح النافذة الصغيرة الموجودة بالباب فوجد هدفه مستلقيًا على الأرض لا يقوى على الحركة، سحب مجموعة من السلاسل فبدأت أصوات أنين مكتوم تظهر جلية من داخل الغرفة، كلما سحب هذا الضخم السلاسل بدأ صوت الانين يرتفع، ظل يسحب السلاسل حتى إكتفى فقام بربطها جيدا ثم فتح باب الغرفة ودخل بعد أن أضاء النور وجلب لنفسه مقعدًا وضعه في مواجهة الشخص المعلق أمامه وجلس عليه وبدأ حديثه

ـ أنت عارف إن الحالة اللي أنت فيها دلوقتى ممكن ضغط الدم يعمل انفجار في خلايا المخ عندك بسبب التدفق غير الطبيعى للدم واللى متركز على راسك،

طيب تعرف أن الحالة النفسية اللي أنت فيها حاليًا كفيلة إنها تسببلك سكتة قلبية وتقضي عليك، عامةً أنا عارف إنك مش قادر تتكلم ولا تقول أي حاجة فأنا هاخد دورك في الرد وهعتبر أن كل اللي بقوله دلوقتى واصلك بشكل كويس، فبالتالى هكمل كلامى وأنت اعمل نفسك فاهم!

تحرك هذا المجهول حتى وصل إلى منضدة عليها مجموعة من الأدوات المستخدمة في العمليات الجراحية، جذبها على عجلات موضوعة لتسهيل نقلها حتى اقترب من الشخص المعلق وبات وشيكا من الالتصاق به، ثم سحب المقعد ووضعه أمامه مباشرة وجلس عليه، أمسك مشرطًا صغيرًا حادًا كما يبدو من لمعته الشديدة، وبدأ بمهارة رسم بعض الخطوط على الجسد المعلق، كانت هذه الخطوط تتلاقى أحيانا فتُحدث تقاطعا هندسيا بديعا، وبدأ الضخم يشعر بحالة غريبة من السعادة، يبدو أن يستمتع بما يقوم به بشكل كبير.

بدأت قطرات الدم تتساقط بشكل سريع بسبب الضغط الذي يشعر به هذا الشخص، والذي تسبب في احمرار عيني الرجل المعلق، ولكن لم يؤثر هذا الأمر في صاحب الحلة الرسمية الذي وضع ساقًا على الأخرى وهو يشاهد الجسد المعلق أمامه يُصَفَّى من الدماء، وكلما بدأت الدماء تتجلط بدأ في عمل جروح جديدة وهو في حالة من الانتشاء الغريب، حاول المعلق أن يقوم بأى

حركة لعلها تفك وثاقه ولكن هيهات أن يحصل على حريته بعدما وصل إلى هذا المكان.

وهنت أنفاسه حتى بدأ رويدًا رويدًا يفقد الوعي، وعندما بدأت عيناه في الارتخاء شعر بماء مثلج يصيب جسده العارى بشكل مباشر مما أصاب الجسد بصدمة أفاقته وجعلته يتلفت حوله بسرعة لعله يدرك ما يحدث فلم يجد إلا هذا المخبول أمامه يضحك بصوت مرتفع ويمسك إناء كبيرًا كان قد وضع به المياه المثلجة. كرر محاولات أن يحل وثاقه ولكن يبدو أن هذا الشخص يعرف جيدا ما يفعله، فقد قيده من الأماكن التي تتحكم في أعصاب يديه وقدميه، وكلما حاول التحرك كلما شعر بألم أشد. ظل على هذه الحالة حتى بدأ وعيه يغيب مرة أخرى، ولكن في هذه المرة لم يُعيده الماء البارد، وإنما شعر بوخزة حادة تخترق جسده وسائل بارد يسرى في عروقه، لم يعلم ما الذي تم ضخه في عروقه الآن ولكنه لم يعد يحتمل المزيد.

قبل أن يفقد وعيه وجد هذا الغريب يضع على الطاولة أنبولًا بلاستيكيا وبه مادة سائلة، شعر أنه رآها من قبل، لكن الألم الذي يفتك بخلاياه جعله عاجزًا عن تذكر أين رآها من قبل.



20

أحد مستشفيات المعادى

صوت ركض في الممر المؤدى إلى غرفة العناية المشددة، انتبهت (هيام) أن الركض كان في اتجاه الغرفة التي يتواجد بها (أسامة)، نفضت غطائها عنها وعدلت من هندامها ثم توجهت إليهم فوجدت الطبيب يسرع إلى زوجها ويستدعى طاقمه الطبي، فالمريض قلبه يوشك على التوقف. وقفت تنظر إليه والدموع تتساقط منها لا إراديًّا ولا تعلم ما الذي يجب عليها أن تفعله، شاهدته وهم يحاولون إنعاش قلبه بالصدمات الكهربائية فلم تقوَ قدماها على حملها فانهارت أرضًا، حاولت إحدى الممرضات إفاقتها إلا أنها لم تنجح وحدها، فساعدها زميل في حملها ووضعوها في غرفة خاصة وتولى طبيب آخر حالتها، علقوا لها محلولًا يساعد في رفع ضغط دمها المنخفض، وتركوا بجانبها ممرضة تتابع حالتها. كان موقفًا عجيبًا، فهذا يصارع الموت وهذه تحاول التشبث بالحياة، لا تعلم هنا من المذنب في حق من، من شارفت على إنهاء حياته دون أن تعلم أنها السبب أم هو الذي أصابها في مقتل بغيبوبته التي قد لا يفيق منها.

مرت قرابة الساعة استفاقت بعدها (هيام) وحاولت أن تتحرك لتعرف ما حدث مع زوجها، ولكن الممرضة منعتها بسبب انخفاض ضغطها بشكل خطير وأخبرتها انها ستطمئن لها على زوجها وتخبرها بما حدث بشرط أن تظل

في الفراش حتى تتماثل للشفاء، حاولت (هيام) أن ترفض هذا العرض، لكنها اضطرت للموافقة على مضض حين وجدت نفسها لا تقوى على السير نحو غرفة (أسامة)، بل ولا تقوى على النزول من الفراش. غابت عنها الممرضة لعدة دقائق ثم عادت وعلى وجهها ابتسامة طمأنت قلب (هيام) قبل تتحدث:

ـ الحمد لله دكتور (أسامة) حالته دلوقتى مستقرة، هو كان دخل في ازمة قلبية ولكن بفضل الله الدكاترة قدرت تلحقه، هو لسة ما استعادش وعيه بشكل كامل بس في حالة استقرار حالته دى بنأمل من ربنا أنه يفوق في أقرب فرصة.

بدات علامات الراحة تظهر على وجه (هيام) يختلط بها قلق بسيط، أرخت جفونها وأغمضت عينيها وحاولت أن تهدئ من روعها قليلًا، أعطتها الممرضة بعض الأدوية التي أوصى بها الطبيب فأخذتها بعدما تناولت القليل من الطعام. بعد عدة ساعات أتت والدتها مهرولة بعدما علمت بما حدث لابنتها، احتضنتها في حنان بعدما أمر الطبيب بازالة المحلول فطمأنتها (هيام) أنها أصبحت بخير. سألتها والدتها عن زوجها فتنهدت قائلة إنه لم يجد جديد حتى الآن وأن حالته مستقرة ولكنه لم يستفيق. أنهت عبارتها ثم انهارت في البكاء مرة أخرى ولم تستطع هذه المرة كبت مشاعرها فبكت كأنها لم تبكِ من قبل، احتضنتها والدتها وأخذت تهدئ من روعها حتى استكانت بين يديها

وأسلمت نفسها لسلطان النوم مرة أخرى، يبدو أن الدواء الذي وصفه لها الطبيب يحث خلايا الجسم على الهدوء بشكل كبير.

***

فى نفس اليوم – الساعة الرابعة عصرا

وصل (محمود) إلى مقر الشركة بمدينة نصر فسأل عن (هيثم) وأمر السكرتارية باستدعائه إلى مكتبه على وجه السرعة، دخل إلى مكتبه وفتح اللاب توب وبدأ العمل عليه حتى سمع طرقات على الباب فعلم أنه (هيثم) فأذن له بالدخول. اقترب (هيثم) من المكتب وحيا (محمود) فأشار له الأخير بالجلوس فجلس وانتظر أن يبدأ في الحديث، سأله (محمود) عن بعض الأمور العامة بالعمل وعن مدى تقدمهم في التدريب الذي كان يقوم به (أسامة) قبل إصابته في الحادث الذي ألم به فأبلغه أنهم قطعوا شوطًا كبيرًا وأنهم كانوا على وشك الانتهاء من مرحلة الإعداد الأولي قبل إصابة (أسامة). كلفه (محمود) بأن يستكمل هو التدريب حتى لا يشعر العاملون بفقدان الهمة وطلب منه متابعة حالة (أسامة) في المشفى لأن (مصطفى) غير متواجد وهاتفه مغلق ولا يستطيع الوصول اليه، كما لا يجب أن يكون (أسامة) دون متابعة، فهذا الشخص له فضل كبير في تطوير أداء العاملين بالشركة في الفترة الأخيرة.

أنهى اللقاء مع مساعده ثم بدأ يطالع أخر الأخبار بخصوص السباق الذي يخوضه أمام (محمد الهادى)، ففوجئ أنه في فترة انشغاله بأمر (أسامة) بجانب بعض الامور الأخري استطاع (محمد) أن يزيد من نفوذه داخل سوق العمل بإتاحة فرص توظيف كبيرة جدًا في مجموعة شركاته التي فتح فروعًا كثيرة لها داخل البلد. شعر أن هناك أمر غريب في هذا الموضوع، فمن أين حصل (الهادي) على كل هذا الدعم المادي في هذه الفترة القصيرة؟ أجرى اتصالاته بأحد الرجال الموكل إليهم المهام الصعبة والتي لا يجب أن يظهر فيها وأخبره أن يتحرى عن كل ما يتعلق بمؤسسة (الهادي)، وأن يكتشف من أين حصل على كل هذا الدعم المادى، والأهم أن يعرف أدق التفاصيل عن البرنامج الذي سيعرضه في المرحلة النهائية قبل الترشح في السباق التنافسي.

بعد انتهاء المكالمة أجرى (محمود) عدة اتصالات أخرى، وكان يبدو عليه الغلظة في كل مرة يقوم فيها باتصال حتى شعرت إحدى العاملات في السكرتارية أنه لو لم يهدأ الآن فربما يؤذي نفسه. فكرت أن تدخل المكتب وتحاول تهدئة انفعاله، لكنها حين فتحت الباب وجدته أمامها ويهم بالرحيل، سألته إن كان بحاجة لشيء ما فأجابها أنه بخير وأمرها بإلغاء كافة المواعيد المحددة لهذا اليوم، فهو لن يأتي إلا صباح الغد، وفى حالة أي أمر طارئ عليهم بمراسلته على الإيميل وليس الاتصال على الهاتف، ثم انصرف.

ركب سيارته ورفض أن يصطحبه السائق، تجول داخل القاهرة وهو يفكر فيما هو آت، لا يعلم هل ما يقوم به هو الصواب أم أنه سيقع فريسة شغفه الكبير للنجاح دون النظر إلى التبعات التي تنتج عن بعض التصرفات الحمقاء التي قد يفعلها؛ وبغض النظر عن أي شيء، فهو دائما ما يشعر بحالة من الفرح عندما يحقق ما يرغب فيه مهما كانت التكلفة.

اقترب من الصومعة وترجل من سيارته وتركها لأحد العاملين يصفها في مكانها المعتاد، ودخل هو إلى مكتبه. فور أن جلس ارتفع صوت الهاتف فأخرجه ليجد المتصل (هيثم) فلم يعره انتباها، ثم ضغط زر الصوت ليتحول الهاتف إلى الوضع الصامت. فتح اللاب توب وبدأ يبحث عن أي مستجدات قد أتت إليه طوال اليوم، دقائق وأتى بريد جديد من الشخص الذي كلفه بالبحث خلف مؤسسة (الهادى) يخبره أن (محمد) يحصل على تمويل من أحد الجهات الأجنبية التي ترغب في ترسيخ قواعد لها في الشرق الأوسط وتستخدم رجال الأعمال الجدد كواجهة للتخفي خلفها، وأنهم يقومون بضخ مبالغ غير طبيعية داخل سوق المقاولات وبالأخص في مصر، أنصت له في هدوء قبل أن يقول له أن يستعد لحصد المحصول. أغلق الهاتف وقام بتشغيل أحد مقاطع الموسيقى التي يفضلها وأغمض عينيه حتى أنه لم يشعر بالعامل يضع كوب القهوة امامه، فتح عينيه عندما اشتم رائحة البن فارتشف القليل

من القهوة وأخذ ينظر إلى هاتفه وهو ينتظر رسالة تخبره بأمر انتظره منذ فترة ليست بالقليلة.

مع أخر رشفة في الكوب سمع اهتزاز هاتفه وعنما فتح الرسالة ظهرت على ملامحه بعض الطمأنينة، فأخذ يهتز على المقعد الذي يجلس عليه ويدندن مع الموسيقى.

***

الأحد – الساعة السابعة مساءً

اقتربت (ناهد) من أحد الطاولات الموجود بكافيه ستار باكس وهي تلمح هذا الشخص الذي يجلس وينظر لها بابتسامة أرسلت إلى اعماقها رعب شديد ولكنها حاولت التظاهر ببعض الاتزان، فهى تعلم أن ما مرت به في الأيام السابقة لا يعتبر إلا إنذار قليل مما هو آت ولا بد أن تنفذ كل ما يطلب منها جيدا حتى تستطيع الخروج من بين المطرقة والسندان. تأنقت اليوم كما لم تفعل من قبل، وتأنت في مسيرها حتى وصلت إلى الطاولة التي يجلس عليها (محمد) فحيته فقبّل يدها وسحب المقعد لكي تجلس. لفت جمالها أعين الحضور الذين تابعوا تلك الفاتنة التي جلست بصحبة رجل يبدو أنه صاحب سلطة ما، لم يخطئ أيهم عندما ظن به هكذا، فالمال اليوم أصبح هو صاحب

السلطة الأولى والأخيرة، وهو حصل على ما لم يستطع أحد أن يحصل عليه في الفترة الأخيرة.

قبل أن تبدأ كلامها أشار (محمد) إلى النادل وطلب عصير ليمون لها وفنجان من القهوة له، انصرف النادل بعد أن سجل الاوردر فيما توجه (محمد) بكامل جسده إليها وابتسم بهدوء ثم بدأ حديثه:

ـ دايما أعرف عنك إنك فاتنة وبحب إطلالتك على الشاشة بس لأول مرة في حياتى أشوفك بالجمال دا، رغم حالة الإرهاق الشديد اللي ظاهرة عليكي

ـ يا ترى الكلام دا طالع من قلبك ولا بس بتحاول تكسب نقطة عندى علشان أنت عارف أن الموضوع دا فارق معايا جدًا وأنت شخص بتعرف تتكلم كويس اوى!

ـ منكرش إني بعرف أتكلم كويس، خاصة في المواقف الصعبة، بس أنا دلوقتى فعلا بتكلم بكل تلقائية وإعجابى دا نابع من شخصى مش من المكانة اللي أنا فيها.

بدأت (ناهد) تشعر ببعض التوتر، احمرت وجنتاها خجلا وبدأت قدمها تهتز، ضمت يديها إلى صدرها كنوع من أنواع الدفاع النفسي، فهم (محمد) ما حدث فحاول تهدئة الوضع قليلا خاصة أن اللقاء في بدايته ويبدو أنه سيطول!

بدأ يحدثها في بعض الامور العامة وعن خططه المستقبلية في مصر والوطن العربى، أخبرها أنه يريدها أن تصبح المتحدث الإعلامي لمجموعة شركات (الهادي)، ثم أخرج من جيبه شيكًا وضعه أمامها وأخبرها أن تضع المبلغ الذي تريده. أمسكت (ناهد) الشيك وتأملته طويلًا ثم طوته ووضعته في حقيبة يدها وأخبرته أنها ستعطيه له ليوقعه بعد الانتهاء من الحديث كاملا، ابتسم وحياها على فراستها وإدراكها أن هذا لم يكن المغزى من اللقاء، فابتسمت له على استحياء وأكملا حديثهما.

استمر اللقاء طويلا تحدثا فيه عن عدة أمور بعضها شخصى وبعضها يخص العمل، وفى نهاية اللقاء صمت كلاهما ثم أخرجت الشيك من حقيبتها ووضعت فيه رقما وأمامه وضعت ستة اصفار ثم قدمته إليه فنظر إليها وابتسم وهم بالتوقيع ولكنها أوقفته عندما أمسكت يديه التي تمسك بالقلم.

ـ لسة فاضل حاجة تانى عاوزاها مع الشيك دا، والحاجة دي عندى أهم من الشيك بكتير اوى.

ـ انتى تختارى وأنا عليا التنفيذ، بس يا ترى أيه ممكن يكون عندك أهم من شيك فيه رقم من 6 أصفار؟؟

ـ انت!

أطلقت الكلمة ثم أخذت نفسا عميقا لترى تاثير الكلمة عليه فابتسم لها

وظل صامتا بعض الوقت وهم بتوقيع الشيك فسحبته من بين يديه وعادت إلى حديثها مرة أخرى

ـ قلتلك الحاجة التانية اهم عندى من الشيك، يبقى آخد الرد عليها قبل ما توقع الشيك لاني لو ماخدتش الحاجة دي يبقى مش هاخد الشيك. أنت طلبت منى المساعدة وقلتلى قيّمى تعبك وأنا شايفة أن دا قيمة تعبي، فلو أنت شايف أنه كتير عليا يبقى خلينا أصدقاء أفضل ووقت ما تحتاج لمساعدات بسيطة أنا في الخدمة.

أمسك (محمد) الشيك ووقعه، ثم وضع عدة أوراق مالية على الطاولة للنادل، وقبل أن ينصرف اخبرها أنه في انتظارها بسيارته. ارتسمت على وجهها ابتسامة الانتصار، وتركته يتحرك ناحية السيارة ثم فتحت هاتفها وأرسلت رسالة نصية لرقم تحفظه عن ظهر قلب ثم أعادت الهاتف إلى حقيبتها. اتجهت إلى الحمام لهندمة ملابسها ومكياجها، بينما ركب (محمد) سيارته وجلس ينتظرها، قبل أن تنقضي خمسة عشر دقيقة كانت تقف أمام باب السيارة، فتح الزجاج بعد أن اشارت له:

ـ هطلع وراك بالعربية بتاعتى علشان أخاف اسيبها هنا.

ـ مفيش مشكلة، بس حاولى تخليكى قريبة منى.

اتفقا وتحرك من أمام الكافيه ثم تبعته بسيارتها وحاولت بقدر الإمكان أن تترك مسافة كافية بينها وبينه ثم أرسلت رسالة أخرى مقتضبة:

ـ اتحركنا

بعد ربع ساعة تقريبا كان الطريق شبه خالى من السيارات سوى (محمد) و(ناهد) وعدد قليل جدًا من السيارات الاجرة، أضاءت الاشارة اللون الأحمر فتوقف (محمد) ووقفت (ناهد) بجواره وأشارت له فابتسم لها، وحين تحولت الإشارة إلى اللون الاخضر بدأ (محمد) في التحرك إلا أنه فوجئ بسيارة تقطع عليه الطريق وأخرى تقف من خلفه. نزل من السيارتين مجموعة من الرجال مفتولى العضلات يحملون أسلحة وجهوها إلى (محمد) و(ناهد)، وأجبروهما على النزول تحت تهديد السلاح. بدت علامات الارتباك على كليهما، حاول (محمد) فهم ما يحدث منها لكنه وجدها تبكي فحاول تهدئتها قائلًا إن كل الامور ستصبح بخير إلا أن أحدهم عاجله بضربة بكعب السلاح الذي يحمله على رأسه ففقد الوعي مباشرة، بينما قدم أحدهم يده لـ(ناهد) فوقفت تعدل من هندامها ومسحت دموعها وركبت سيارتها وانطلقت، بينما ركب أحدهم سيارة (محمد) وانطلق بها في اتجاه آخر، وحمله الآخرون في إحدى السيارات واختفى الركب بحمولته وكأنه لم يتواجد من الأساس.

بعد عدة أيام – الجريدة الرسمية

اختفاء مفاجئ لرجل الأعمال (محمد الهادي) في ظروف غامضة، وأكدت بعض المصادر أن آخر مكان شوهد فيه أثناء خروجه من أحد الكافيهات الشهيرة بالتجمع الخامس.

مجموعة من الاتصالات تصل إلى إدارة مؤسسة (الهادي) تسأل عن سر اختفاء (محمد) ولكن كان أبرز هذه الاتصالات هو اتصال (محمود ناصر) وتأكيده على أنه سيبذل كل ما في وسعه من أجل الاطمئنان على سلامة (محمد)، فهو بمثابة الصديق والأخ رغم التنافس الشريف الذي يدور بين كليهما في سوق العمل.

***

مساء الخميس – أحد مستشفيات المعادى

شعرت (هيام) بحنين شديد إلى (أسامة) ومداعبته لها، خلافها معه على أتفه الاسباب، أخذت تنظر إليه وهو مستلقٍ على الفراش ولا يتحرك وكل ما يخبرهم أنه على قيد الحياة ذلك الجهاز الذي يعلن مؤشره انتظام نبضات القلب، مرت الدقائق ثقيلة ومحمّلة برائحة الحزن، يدخل طبيب ليطمئن على استقرار حالته وتدخل ممرضة تقوم بوضع بعض الأدوية في المحلول المتصل بأوردته، وتقف (هيام) تشعر بأنها مكبّلة بالقيود ولا تستطيع فعل شيء.

هُيِّئ إليها أنها رأت يد (أسامة) تتحرك فاقتربت من الزجاج الفاصل بينها وبينه حتى تتأكد فوجدته لا يقوى على الحراك، قبل أن تعود للخلف مرة أخرى وجدت يده تتحرك ببطء شديد ويحاول ضمها إليه، هرولت إلى أحد الاطباء لتخبره فأتى مسرعًا ودخل إلى الغرفة وصحبته إحدى الممرضات، فحص (أسامة) بشكل سريع ليتأكد من عودة وعيه مرة أخرى، ثم حرك أصابعه أمام وجهه ليرى قدرته على التركيز؛ في بادئ الأمر لم تتحرك عينا (أسامة) من مكانها ولكن بعد قليل من الوقت بدأ ينتبه لحركة كف الطبيب أمامه وبدأ نظره يتحرك مع الأصابع المتحركة. ارتسمت ابتسامة ارتياح على وجه الطبيب وأخبر الممرضة ببعض الارشادات التي يجب أن تتبعها معه حتى يبدأ في استعادة وعيه بشكل كامل، ثم خرج ليطمئن (هيام) أنه بدأ في استعادة وعيه، وأنه في نهاية اليوم ربما تتحسن حالته بشكل أكبر، ولكن يفضل ألا يدخل إليه أحد حتى يستعيد وعيه بشكل جيد ويستطيع تمييز ما حوله لأن إصابته لم تكن هينة.

***

بعد عدة أشهر

استيقظت (هيام) وبدأت تعد الإفطار لزوجها الذي ظل يغط في نوم عميق ولم يشعر بأية حركة من حوله، حتى أنهت الافطار وعادت توقظه. فتح عينيه

وأخذ يتأمل المكان من حوله كأنه يراه للمرة الأولى، حاولت طمأنته فنظر لها بغضب ثم ولى وجهه للجهة المقابلة ونزل من على الفراش متوجهًا إلى الحمام وعندما خرج سألها عن قهوته فأجابته أنها ستعدها له فور الانتهاء من تناول الافطار، لكنه هتف بأنه لا يريد طعامًا، وأمرها بسرعة تحضير القهوة.

عادت إلى المطبخ لتعد القهوة وهي تكظم غضبها، فهى لا تعرف ما أصابه فجأة، فمنذ خرج من المستشفى وهو يعاملها جيدًا، لكنه تغير معها مؤخرًا رغم أنه لم يتغير أي شيء في حياتهم، حتى إنه لم يعد يذهب إلى العمل منذ يوم الحادث المشؤم؛ يبدو أن البقاء في المنزل قد أصابه بإحباط شديد، فهو كان لا يتهاون في عمله أبدًا ويحب أن يساعد الجميع رغم مشغولياته، أما الآن فيشعر بالعجز بسبب جلوسه دون عمل، يبدو أن هذا الأمر يستحق استشارة أحد المختصين.

أنهت تجهيز القهوة ووضعتها له على الكومود بجوار الفراش فتناولها دون أن ينطق بكلمة، بينما حاولت هى أن تبدأ معه أي حديث ولكنه أبى. أخرجت بعض الملابس من خزانتها وبدلت ملابسها وأخبرته أنها ذاهبة إلى زيارة أحد أصدقائها فلم يعقّب، أنهت ارتداء ملابسها واقتربت منه وحاولت أن تقبله ولكنه ابتعد عنها فعقدت حاجبيها في غضب ثم انصرفت، لا تعرف ما الذي حدث له، يبدو أن هذه هى الحالة التي أخبرها عنها الطبيب وأنه سيمر بها

فور أن تعود إليه الذاكرة بشكل شبه كامل، ويبدو أن هناك ما يخبئه زوجها في جعبته ولا يفصح عنه لأحد، أجل فقد أصبح غريبًا منذ عاد إلى المنزل، كل تصرفاته لا يمكن أن تمت للعقلانية بأى شيء، استيقاظه ليلًا وهو يستغيث، فزعه كلما اقتربت منه وهو جالس وحده، شروده الدائم وكأنه هائم فيما حوله، كل هذه التصرفات جعلت منه غريبًا يشاركها نفس السكن، ولكن ما باليد حيلة، لابد أن تتعلم كيف تتعامل معه بشكل جيد. في طريقها إلى الخارج اتصلت ب(سلمى) فلم تجبها في المرة الأولى، وبينما تعيد الاتصال لمحت شبح سيارة تقترب منها بهدوء وكأنها تقوم بمراقبتها، أغلقت الهاتف ووضعته في حقيبة يدها وحاولت أن تسرع الخطى حتى تصل إلى نهاية الشارع وتستقل سيارة أجرة، وبالفعل أشارت إلى إحداها التي توقفت أمامها، فركبت وطلبت من السائق أن يتوجه بها إلى ميدان التحرير. تحرك السائق متبرمًا وعلى وجهه علامات امتعاض شديدة، فقد كان بإمكانها أن تستقل مترو الانفاق عوضًا عن الازدحام الذي سيمرون به.

وصلت (هيام) إلى كورنيش النيل بالتحرير فجلست تستنشق بعض الهواء بعيدًا عن المارة، وبينما تدير وجهها نحو الطريق لمحت السيارة التي رأتها قرب المنزل، يبدو أن توقعها في محله وأن هناك من يتتبعها، ولكن من الذي يقف خلف ذلك ولماذا؟ هذا ما لا تعرفه. حاولت الاتصال ب(سلمى) مرة

أخرى ولكنها بدأت تشعر بدوار خفيف دون أن تعلم السبب، بدأت تستنشق رائحة زكية لا تعلم مصدرها، حاولت الالتفات لمصدر الرائحة فوجدت سيدة لم تستطع تحديد ملامحها تقف خلفها وتبتسم لها، لم تستطع (هيام) أن تتمالك نفسها فسقطت مغشية عليها وعينها مثبتة على تلك المرأة التي يبدو من مظهرها أنها مألوفة بشكل ما ولكن لم يعد هناك وقت للتعارف، أظلمت الدنيا ولم يتبق سوى رائحة المخدر الذي استنشقته (هيام) بالكامل دون أن تشعر.

***

21

بدأت الأنوار تهتز بعد أن ضغط أحدهم على زر الاضاءة، صوت مزلاج يُفتح بصعوبة ثم تبعه صوت أقدام تقترب من الممر، صوت احتكاك شيء معدنى بالحائط يجعل الجسد يقشعر، ظل كبير يسير أمام صاحبه بينما ينظر الأخير على الأرقام المدونة على الأبواب الموصدة أمامه، ظل ينظر إلى الارقام حتى استقرت عيناه على الرقم 2، اقترب من الباب ثم فتح النافذة الصغيرة في منتصفه لبجد ضالته جالسًا على مقعد من الحديد ويبدو من حالته الراهنة أنه فقد وعيه، فُتح الباب فظهرت رائحة جلد يحترق ملئت المكان وأزكمت الانوف.

اقترب صاحب الجسد الضخم من هذا الشخص المقيد بالمقعد ووضع مقعدًا آخر أمامه وجلس يتأمل سجينه قليلا ثم تحرك من مكانه ونحَّى المقعد الذي كان بجلس عليه جانبًا، حمل زجاجة من الماء البارد وبدأ يُسقط قطراتها على رأس الشخص المقيد فلم يستجب، فأحضر دلوًا من الماء المثلج وألقاه على الجسد المقيد أمامه حتى سمع صوت شهقات تتعالى وحالة من الفزع تجتاح هذا الجسد الواهن، اقترب منه قليلا وأعاد المقعد إلى مكانه مرة أخرى وجلس عليه بحيث يواجه رهينته، نظر إليه في صمت ثم وضع يديه على فخذيه وبدأ يحدثه.

ـ يا ترى بقى يا درش أنت كنت شغال معاه بقالك قد أيه؟ اوعى تكون فاكر إننا مكناش عارفين، بس كل ما في الأمر إننا حبينا نشوف آخرك أيه وايه اللي أنت هتقدر توصله، صحيح أنت كنت في الجيش وليك خبرة مش وحشة بس في نفس الوقت متنساش إنك لسة بالنسبة للعبة بتاعتنا دى عيل صغير لا تحتكم على أي شيء، أيًا كان المبلغ اللي أخدته أو التمن اللي هو قدر يشتريك بيه بس أنا كل اللي كان عاجبنى هو إصرارك على موقفك وثباتك إنك مش شغال مع حد ولا بتنقل أخبارنا لحد، بس صدقني المشكلة مش في إنك كنت غبي ووقعت بالكلام، مشكلتك إن في واحدة في حياتك، ودايما لازم تكون عارف إن وجود ست في حياتك كفيل إنه يقلبها رأسًا على عقب وهو دا اللي وقعك يا بطل، على العموم أنا مش هرهقك كتير بتفاصيل أنت في غنى عن إنك تعرفها، كل ما في الأمر أنا عاوز أعرف أيه اللي خلاك تعمل كده، وعاوز أعرف أيه آخر الأخبار اللي أنت نقلتها علشان أتأكد من مدى صحتها، وصدقنى لو قلتلي على كل حاجة هخلي نهايتك سريعة ومن غير أي إرهاق، بس أهم حاجة بلاش تعمل فيها السبع رجالة لأن على إيدى كسرت شوكة ناس أعتى منك بكتير أوي.

ظل هذا الأخير يتألم ولا يستطيع أن ينطق بكلمة، كل ما في استطاعته كان أن يفتح عينيه ويتوجه بنظره إلى القابع أمامه ثم تبدأ بعض العبرات في السقوط دون أي صوت يذكر، بعض الرعشة في الجسد لا يضر.

تحرك الضخم وبدأ يتجول في الغرفة ثم اقترب من الباب وأمسك بمحبس وبدأ يفتحه ببطئ شديد وهو ينظر إلى ذلك المقيد على المقعد الحديدى فوجد عرق غزير قد ملأ جسده فزاد من فتح المحبس لتبدأ رائحة الشواء تنتشر في المكان مرة أخرى مع صراخ شديد ولكن يبدو أن صاحبه قد تهتكت أحباله الصوتية فلم يعد قادرًا على إخراج أي صوت سوى فحيح واهن، بينما تظهر آثار الألم جلية على وجهه. بدأت عيناه في الانغلاق حتى فقد وعيه من شدة الألم، فأغلق هذا الضخم المحبس ثم اقترب من المقعد وحمل دلو الماء البارد ليفرغه دفعة واحدة على الجسد الساخن الذي انتفض مذعورًا، لكنه بعد لحظات فقد وعيه مرة أخرى فاقترب منه الضخم وربت بيديه على رأسه قائلًا بتهكم:

ـ معلش بقى يا درش، شكلهم كدة مقدروش يعلموك في الجيش إزاي تزود من قوة تحملك، بس حتى المارينز ميقدرش يستحمل اللي بعمله فيك. يلا هسيبك ترتاح شوية وهبقى أرجعلك تانى، بس المرة الجاية عاوز ألاقى تفاعل منك أكتر من كدة لحسن أزعل منك، وأنت عارف إن زعلي وحش.

على الجانب الآخر جلس شخص يرتدى حُلة أنيقة خلف شاشة يشاهد عليها ما يحدث بالتفصيل داخل هذه الغرفة المغلقة، ويظهر على وجهه شبح ابتسامة شامتة، بعد عدة دقائق أغلق الشاشة بعد أن أجرى اتصالًا قصيرًا أخبر فيه المتلقى أنه قد اكتفى بهذا القدر لهذه الليلة ثم غادر مكانه بعد أن أغلق الاضواء وأخذ يغنى بصوتٍ خفيض.

***

"هذا وقد أعرب السيد وزير الداخلية عن قلقه بسبب حالات الاختفاء المفاجئة التي بدأت تحدث، وأكد أنه ورجاله سيقومون بكل الجهد المطلوب لإيقاف هذا الكابوس الذي بدأ يؤرق المواطنين، خاصة أنه في غضون فترة قليلة تم الابلاغ عن اختفاء أكثر من شخص في أماكن متفرقة بنفس حالة الغموض، وأكد سيادته أنه سيبقي الإعلام على اطلاعً بكافة المستجدات لطمأنة المواطنين.

كانت معكم (ناهد شاهين)."

أنهت فقرتها على الهواء، وبعد أن بدأت الإعلانات سمعت أحد المعدين يخبرها أن رئيس القناة يريدها في مكتبه في الحال. عدلت من هندامها ثم اتجهت إلى مكتب رئيس القناة الذي أشار لها بإغلاق الباب قبل أن يهتف بها بصوت مرتفع متسائلًا عن مصدر الخبر الذي أذاعته منذ لحظات على الهواء

مباشرة دون الرجوع اليه، وأخبرها أنه تلقى للتو اتصالًا من مكتب وزير الداخلية يؤكد عدم صحة هذا الخبر وأنه لا بد من تكذيبه في نهاية اليوم، وإلا سيكون هناك عواقب غير محمودة. تعاملت (ناهد) بدبلوماسية قائلة إن مصدر الخبر هو أحد الشخصيات الهامة داخل مكتب وزير الداخلية نفسه، وأنه هو المتابع بشكل مباشر لهذه القضية. ظل رئيس القناة يرمقها طويلا دون أن ينطق بكلمة، فارتسمت على شفتيها ابتسامة نصر، فهى تعلم أن حديثها بهذه الثقة سوف يبعث بعض الطمأنينة إلى رئيسها وسيجعلها تكمل ما بدأته، ولكن يبدو أن التأثير هذه المرة من شخص ذو ثقل لأن رئيسها أخبرها بضرورة تكذيب الخبر في نهاية اليوم، وأكد عليها عدم إذاعة أي أخبار مشابهة إلا بعد الرجوع إليه وإلا سيكون هناك تصرف آخر سيتخذه معها. أنهى كلامه ثم أمرها بالانصراف وأنه في انتظار سماع التكذيب الذي ستبثه في نهاية اليوم.

انصرفت (ناهد) وعلى وجهها علامات الغضب، وقررت مغادرة القناة لبعض الوقت، فتوجهت إلى سيارتها وجلست بها قليلًا، لكنها سرعان ما شعرت بدوار شديد ثم فقدت الوعي.

***

ارتفع رنين الهاتف الموجود على الكومود بجوار (أسامة)، نظر إلى الرقم فوجده Private Number، وحين أجابه وجد صوتًا رخيمًا يتحدث إليه ويخبره أنه يمكنه المساعدة في الوصول إلى مكان زوجته ولكنه بحاجة إلى أن يلتقي به أولا، بشرط ألا يحاول التواصل مع الشرطة أو مع (محمود ناصر).

انتابته الرهبة عندما ذُكر اسم (محمود)، لكنه وافق على مضض لعله يعلم مكان زوجته، فأخبره الرجل على الهاتف أن سيارة ستنتظره أمام مسكنه بعد نصف ساعة وتجلبه إليه. استبدل (أسامة) ملابسه سريعًا وهو يشرب كوب القهوة المعتاد، ثم نزل إلى الشارع ليجد سيارة سوداء تقف أمام المسكن ويجلس بها رجل مفتول العضلات يشير إليه بالركوب، ركب السيارة فأعطاه هذا الشخص عصابة وضعها على عينيه دون أن يتحدث.

انطلقت السيارة واستمرت في المسير فترة لم يحسبها (أسامة)، ثم توقفت وسمع صوت الباب يُفتح وأُزيلت العصابة من على عينيه، فتح عينيه بصعوبة في مواجهة الضوء فوجد نفسه في مكان يشبه بدروم لأحد البنايات الكبيرة ووجد أمامه رجل ضخم البنيان يرتدى حلة رسمية يشير إليه بالاقتراب، دار حوار قصير بينهما ثم صعد (أسامة) مرة أخرى إلى السيارة وأعاد وضع العصابة على عينيه، وتحركت السيارة عائدة به إلى حيث يقيم.

***

فى صباح اليوم التالى اتصل (أسامة) ب(محمود) وأخبره أنه يريد لقاءه لاستشارته في أمر هام، ولكنه لا يريد أن يقابله في مقر الشركة ويفضل لو التقيا في مكان آخر، فدعاه (محمود) إلى الصومعة. شعر (أسامة) بالحيرة من ذلك الاسم، لكنه وافق من حيث المبدأ، فأخبره (محمود) أنه سيرسل أحد رجاله ليأتى به مساءً، وبالفعل في السابعة أتته سيارة واصطحبته إلى الصومعة. وقفت السيارة أمام الباب الكبير حتى فُتح ودخلت في ممر طويل حتى توقفت أمام باب داخلى، فنزل (أسامة) ليجد أحد العاملين بالقصر ينتظره أمام الباب ويخبره أن (محمود) في انتظاره بالداخل. سار خلف هذا الشخص وهو يحاول جاهدا أن يبدو متزنًا، ولكن ما يراه أمامه لا يمكن أن يتحمله عقل. وصل إلى باب آخر موصد، طرقه المرافق له وفتحه مشيرًا إليه بالدخول قبل أن يغلق الباب خلفه. وقف (أسامة) وسط الغرفة يتأمل ما حوله في دهشة كبيرة من ماهية هذا المكان، وجد المقعد خلف المكتب خاليًا، فتعجب وجوده وحده، لكنه اقترب وجلس على أحد المقاعد الموجودة امام المكتب وركز تأمله على المكتبة الكبيرة التي تغطي أكثر من حائط، تحتوي على كم هائل من الكتب، يبدو على بعضها القدم ويبدو على الآخر الحداثة. دار بصره يتفحص كل ما حوله حتى سمع صوت (محمود) يأتيه من خلفه، فنهض يصافحه وعيناه تحاولان معرفة من أين أتى، فباب المكتب لم يُفتح!

رحب به (محمود) وجلس على المقعد المواجه له وأخذ يتحدث معه في أمور عامة حتى يكسر الحاجز الذي عاد بينهما بفعل الغياب مدة طويلة، فمنذ آخر مرة تواجد فيها (أسامة) في مقر الشركة قبل الحادث بشهر وهما لم يلتقيا.

ـ مفتقد جدًا الكلام معاك يا (أسامة)، اسمحلى أقولك يا (أسامة) على طول كدة من غير دكتور.

ـ احنا هنا خارج نطاق الشغل، يُفضل نشيل الالقاب دى خالص ونخلينا براحتنا

كان (محمود) يتحدث مع (أسامة) ولكن الأخير كان يتفحص المكان بكافة تفاصيله دون أن يلفت النظر اليه، حتى وقعت عيناه على جزء من المكتبة الضخمة يبدو أن به الباب الذي أتى منه (محمود) قبل قليل. تابع حديثه مع (محمود) وطالت الجلسة تتخللها القهوة المعتادة، حتى شعر أنه لم يعد لديه ما يقول، فاستأذن بالانصراف على وعد بلقاء آخر قريب.

انصرف (أسامة) وهو يحاول حفظ مداخل ومخارج القصر، ولاحظ مرافقه تركيزه الشديد في التفاصيل وأنه يسير ببطء متعمد، حاول أن يسبقه ببضع خطوات لعله يسرع من خطاه ولكن (أسامة) ظل يسير بنفس الرتابة فقال مستفهمًا:

ـ خير يا دكتور في حاجة، شايف حضرتك بتتلفت حواليك كتير.

ـ أبدًا أنا بس معجب بتصميم القصر فبحاول أشبع من تفاصيله.

ـ أكيد طبعا، (محمود) بيه مبيعملش أي حاجة، لازم اللي يعمله يكون مميز ومفيش منه نسخة تانية.

ـ أنت شغال مع (محمود) بيه بقالك كتير؟

ـ يعنى من حوالي خمس سنين.

ـ حلو الوفاء دا، عامةً أنا ممتن جدًا ليك.

القى (أسامة) جملته الاخيرة على باب القصر ثم أسرع إلى السيارة.

عاد المرافق إلى المكتب مرة أخرى فسأله (محمود) عن تأخره، وأجابه أن (أسامة) إنصرف للتو؛ سأله ما إذا لاحظ عليه أي شيء غير طبيعى، لكنه نفى، رغم شعوره الداخلي بأن تأمل (أسامة) وتلفته داخل المكان يثير الريبة، ولكن إن بعض الظن إثم.

***

استيقظ (أسامة) في السادسة صباحا، أمسك هاتفه ثم اتصل بالرقم الذي حصل عليه من الرجل الذي قابله منذ أيام قليلة، أخبره أنه بحاجة إلى مساعدته واتفقا على اللقاء مساءً، ليتركه متعجبًا من سرعة الرد في مثل هذا التوقيت المبكر. مر اليوم رتيبًا بكل تفاصيله حتى أتاه اتصال نزل على أثره إلى الشارع فوجد السيارة تنتظره كما في المرة السابقة وبها نفس الشخص، ركب

السيارة وتناول العصابة ووضعها على عينيه، وبدأت السيارة المسير حتى وصلت إلى مبتغاها. ترك السيارة بعدما نزع العصابة وجلس يتحدث مع الرجل ذي الصوت الرخيم، يفسر له عدة أمور ويشرح البعض الآخر على ورقة أحضرها معه، ثم صعد إلى السيارة عائدًا إلى شقته

***

عاد إلى شقته وجلس أمام اللاب توب يبحث عن كل المعلومات التي يمكنه الحصول عليها عن مؤسسة الناصر، يبدو أن هناك الكثير والكثير من الامور التي تحدث ولا يعلم هو عنها شيء، ولكن لم يعد هناك أسرار الآن، لا بد أن تكون كافة الأوراق مكشوفة، ومن يتعثر لابد أن يُحاسب على كل شيء حتى وان لم يكن من صنيعه. ظل يتابع ويحلل حتى بدأ يشعر بإرهاق شديد، فقد اقتربت الساعة من منتصف الليل وبدأت جفونه تغلق بشكل تلقائى، فأزاح اللاب توب واسترخى على الفراش ليغرق في النوم. يبدو أن ما حصل عليه من هذا البحث لم يكن بالقليل، وأنه عازم على فعل أمر ما لا يعلمه إلا الله.

***

صباح اليوم التالى – مؤسسة الناصر

وصل (محمود) إلى الشركة، وأمر السكرتارية أن ترسل (هيثم) في أسرع وقت، لم تكد تمر دقائق معدودة حتى كان (هيثم) أمامه وعلى وجهه علامات التعجب، يبدو أن هناك أمر جلل حتى يستدعيه (محمود) بهذه الشاكلة

ـ اقعد يا (هيثم)

جلس على المقعد المواجه ل(محمود) وما زال لا يعلم ما الذي يحدث وينتظر أن يسمع بكل تركيز ما سيلقيه عليه (محمود)؛ يبدو أن الأمر هام بالفعل، فعلامات الجدية ترتسم على وجه (محمود) كما لم يراها من قبل

ـ أنت قبل ما تكون مدير التدريب في الشركة عندى كنت وما زلت دراعى اليمين في كل حاجة بعملها، وعارف عنى اللي محدش يعرفه، ويوم ما بحتاج أي تصرف في أي حاجة سواء سليمة أومش سليمة كنت أنت دايما اللي بتخلصلى اللي أنا محتاجه.

صمت قليلًا فازداد معدل الأدرينالين لدى (هيثم) وبدأت أذناه في الاحمرار، فهذه المقدمة التي قالها رئيسه إما أن يأتى بعدها الخير كله أو يأتى بعدها الهلاك، وباعتبار الهيئة التي أتى عليها (محمود) والتي يراها (هيثم)، الآن يبدو أن الهلاك بات قريبًا للغاية.

ـ كل اللي اتعاملنا مع بعض فيه الفترة اللي فاتت دا حاجة واللى هقولك عليه

دلوقتى دا حاجة تانية خالص، اللي فات دا كان بيضمن لك مستقبل كويس من الفلوس اللي بتاخدها أما دلوقتى اللي هقولك عليه بيضمن استمرارك في الحياة أو بمعنى أوضح يا إما أنا وأنت هنعلى أكتر وأكتر يا إما أنا وأنت هتكون دي نهايتنا.

فى بادئ الأمر ابتسم (هيثم) عندما سمع اعتراف رئيسه بثقته فيه، لكنه ارتعب عندما سمع الجملة الاخيرة، فزاد اهتمامه وانتباهه إلى أقصى درجة وهو ما زال على صمته وينتظر التعليمات التي عليه أن يقوم بتنفيذها. انتظر كثيرًا وهو يرى (محمود) يفتح اللاب توب وتجري أصابعه على الأزرار قبل أن يدير الشاشة إليه، وهنا ظهر الارتباك على (هيثم) ولم يستطع أن ينطق بكلمة، فقط نظر إلى (محمود) وبدأ العرق يسيل على وجهه ولا يعلم ماذا يفعل.

نظر (محمود) إلى الساعة ثم أعاد نظره إلى (هيثم) قائلا إن أمامه أربعة وعشرون ساعة فقط ويأتيه ب(أسامة) حيًّا أو ميتًا، وإن عاد دونه سيلقى مصيرًا لا يتخيله. ارتعدت فرائص (هيثم) مما سمعه ومن اللهجة التي تحدث بها رئيسه، وغمغم مؤكدًا أنه سيفعل كل ما بوسعه. يبدو أن الساعات المقبلة تحمل بين طياتها الكثير والكثير.

***

نفس اليوم – قبل ساعتين

استيقظ (أسامة) وهو يمتلئ بنشاط لم يعهده منذ مر بالحادث الاليم، أعد قدح القهوة وهو يتناول القليل من الطعام، نظر إلى هاتفه فوجد العديد من المكالمات الفائتة فلم يشغل باله بأن ينظر إلى أسماء المتصلين. ظل الهاتف على وضعه الصامت بينما أكمل بحثه، بدأت علامات الارتياح تبدو على وجهه رويدًا رويدًا، ثم أغلق اللاب توب وبدل ملابسه واعتمر قبعة ليغير من مظهره ولا يكون وجهه ظاهرًا بشكل كامل. أرسل رسالة إلى (محمود) وهو يعلم جيدًا كيف سيكون تأثيرها عليه، ثم أغلق الهاتف وأتلف الشريحة وهبط درجات السلم حتى وصل إلى الشارع. نظر نحو المكان الذي تقف فيه السيارة التي تراقبه فوجدها في مكانها المعتاد ولكن الأشخاص الموجودين فيها تم تغييرهم، يبدو أن من سبقهم نال جزاءه جيدًا، ورغم ذلك يبدو أن هناك من يصر على تعقبه مهما كانت النتيجة ومهما تكبد من خسائر، إذًا فهو يسير في الطريق الصحيح للوصول إلى إجابات مقنعة عن الأسئلة التي تدور في خلده. أشار إلى سيارة أجرة وركبها بعدما أخبر السائق أن يتجه به إلى ميدان التحرير.



اقتربت الساعة من العاشرة صباحا، نظر (محمود) إلى الهاتف بعدما سمع إشعار وصول رسالة، رغم أنه لا يفضل استعمال الهاتف كثيرًا عندما يقود سيارته، ولكن شعورًا ما أخبره أن هذه الرسالة تحمل شيئًا عظيمًا.

فتح الرسالة فوجدها من (أسامة)، فتوتر وهدأ من سرعة السيارة حتى توقف تمامًا على جانب الطريق وبدأ يقرأ الرسالة بتمعن شديد.

< ازيك يا (محمود)، عارف إنك مستغرب جدًا من الرسالة دى وإني ببعتها ليك في الوقت دا، بالأخص وإنك بتدور عليا من بعد ما وصلت للصومعة عندك، رغم إني قدام عينك طول الوقت وأنت اللي مش واخد بالك مني. عامةً متتعبش نفسك في إنك تدور عليا لأن أنا اللي جايلك مش أنت اللي هتجيلى، الوقت بيمر واللى بيعرف يستغل الفرص هو اللي هيوصل >

قرأ (محمود) الرسالة واجتاحته عاصفة من الغضب حتى كاد يهشم زجاج النافذة المجاورة، أدار محرك السيارة مرة أخرى وتوجه إلى مقر الشركة بشارع مصطفى النحاس ويبدو أنه لا ينتوي خيرًا.

***

توقفت سيارة أجرة بشارع جانبى في التجمع الخامس، ترجل منها شخص ملثم وتحرك حاملًا على ظهره حقيبة متوسطة الحجم، بعد أن نجح في تضليل السيارة التي كانت تتبعه. سار بمحازاة سور أحد القصور الكبيرة التي تجاور

القصر المستهدف، حتى اقترب من سور الصومعة وهو يخفض رأسه. استرجع في عقله كافة التفاصيل التي حصل عليها، وبدأ في تسلق السور حتى اعتلاه، ثم أسقط الحقيبة التي يحملها وهبط بهدوء وتمرس، يبدو أن المعلومات التي حصل عليها تم تدوينها بدقة شديدة. اقترب من المبنى ثم توجه إلى لوحة تحكم كبيرة بجوار السور الخلفى للقصر، فتح اللوحة وفصل الكهرباء عن القصر بالكامل ثم أغلق اللوحة مرة أخرى كيلا ينتبه أحد ويعتقده عطل كهربائي غير مفتعل. مرت ثوان فُتح بعدها باب القصر وخرج منه أحد العاملين متوجهًا إلى لوحة التحكم بينما أسرع الملثم إلى الداخل وهو يحمل بين يديه مصباحًا كهربائيًا صغيرًا، بدأ يتوغل بالقصر وهو يعرف مساره جيدًا حتى وصل إلى باب غرفة مكتب (محمود)، حاول فتح الباب فوجده مغلقًا، أخرج من حقيبته أداة يجيد استخدامها وبدأ في معالجة الباب، حتى نجح في فتحه في اللحظة الاخيرة قبل أن تضاء الأنوار مرة أخرى. دخل إلى المكتب بسرعة وأغلق الباب خلفه وأوصده من الداخل وبدأ يلتقط أنفاسه ببطء، بدأ يتفحص المكان بهدوء شديد حتى اقترب من المكتب الموجود بمنتصف الغرفة، وجد اللاب توب عليه وبجواره بعض الأوراق موضوعة بعناية شديدة. جلس على المقعد بارتياح، فهو يعلم جيدا أن هذه الغرفة دون باقى الغرف الموجودة بالقصر خالية من كاميرات المراقبة. فتح

اللاب توب وأخرج من الحقيبة فلاش ميمورى ليخترق الحماية الموجودة عليه، لكنه فوجئ بعدم وجود أي نوع من أنواع الحماية عليه، يبدو أن (محمود) لم يتوقع أن يصل أحد إلى معقله. فتح الملفات المحفوظة فوجد ملفًا دون عنوان فلفت نظره، فتحه ليجد بداخله كافة المعلومات المتعلقة ب(أسامة) و(هيام) و(مصطفى). نقله إلى الفلاش ميمورى قبل أن يفكر في إمكانية أن يكون هذا الملف ليس ما أتى من أجله؛ ولكن بنظرة سريعة إلى الملفات التي يتم نسخها أدرك أنه سيجد ضالته في هذا المجلد. انتهى التحميل بعد دقائق قليلة، فتح خلالها الثلاجة المجاورة للمكتب وحقن جميع زجاجات المياه فيها بمحقن كان معه. ثم أتت المعضلة التي لم يحسب لها حسابًا، فالآن سيواجهه كل من بالقصر في حالة خروجه من الباب الرئيسي كما أتى، لابد من وجود مخرج آخر وإلا ستكون نهايته حتمية. تلصص من زجاج المكتب فوجد الحراسة الموكلة بتأمين القصر تسير في دوريات حول المبنى فأيقن أنه لا يمكنه الخروج من النافذة؛ عاد مرة أخرى إلى وسط الغرفة يفكر في مخرج من هذا المأزق، بدأ يعود إلى التركيز مرة أخرى، لكنه سمع وقع أقدام تقترب من المكتب فزاد توتره، ودارت عيناه تنظران في كافة الاتجاهات علها تجد مكانًا يصلح للاختباء. وقع بصره على المكتبة الضخمة التي لا يرى مبررًا لوجودها بهذا الحجم، اقترب منها بهدوء ودقق النظر في أطرافها ليجد

أثر حركة نصف دائرية في هذا المكان، فحاول تحريك بعض الكتب من أماكنها كما يرى في الافلام عل أحدهما يكون هو الكتاب المطلوب لتحريك الباب السحري، لكنه لم يفلح في ذلك. زاد اصراره على الوصول إلى مخرج من هذا المكان عندما شعر بأيدى تتحرك على باب المكتب في محاولة لفتحه، فاقترب من الحائط ونظر خلف المكتبة فوجد لمبة حمراء صغيرة تضيء ثم تنطفئ، برقت عيناه بعدما أيقن بوجود زر في هذا المكان، تحسس الحائط بحرص حتى ضغطه فتحرك الباب السحري دون صوت. مر الملثم عبر الفتحة الصغيرة التي ظهرت أمامه وأغلق الباب سريعًا ووقف يسند ظهره إلى الحائط الذي أصبح يحول بينه وبين من يحاول التنصت على ما يدور بالمكتب، دون أن يجرؤ على دخوله في غيابه. سمع صوت أقدام تسير بشكل عشوائى أمام الغرفة تقترب وتبتعد من باب المكتب ولكنها توقفت فجأة، فبدأ الأدرينالين يصل إلى أقصى درجاته وبدأ العرق يتصبب منه، لكنه حاول الإبقاء على رباطة جأشه قدر المستطاع حتى هدأت الحركة وبدأ الصوت يبتعد رويدًا رويدًا. انتظمت انفاسه بالتدريج، فجال ببصره داخل المخبأ ليعرف إلى أين يقوده، وجد على ضوء مصباحه درجات سلم طويلة، ومن بعدها ظلام دامس يغلف المكان كاملا.

هبط الدرج بهدوء محاولًا ألا يصدر أي صوت حتى اقترب من نهايته، كشف له ضوء المصباح ممرًا أمامه تخرج منه أصوات غريبة، هناك همهمات وأنين خافت، يبدو أن هناك من يتعرض لآلام شديدة أنهكته فلم يعد باستطاعته تحمل المزيد. تحرك مقتربًا، وبدأت الهمهمات وأصوات الأنين ترتفع، وكلما اقترب كلما ارتفعت الاصوات، بدا شبح ضوء خافت يظهر قرب نهاية الممر، وبدأ يسمع صوت أقدام تتحرك بوهن شديد وصوت احتكاك جسد أو شيء لين بالأرض. أغلق مصباحه اليدوي بعدما دخل حيز الجزء المضاء من الممر، ليتبين على بعد خطوات قليلة منه أربعة أبواب مغلقة يصدر من خلفها أصوات الانين المكتوم والهمهمات التي صارت أوضح مع اقترابه.

عندما وصل أمام الغرفة الأولى وجد الرقم 4 يتوسط الباب وبجواره ثلاثة أبواب أخرى كتب عليها أرقام لم يستطع تمييزها عن بعد، اقترب ليقف في وسط الممر ونظر إلى الارقام الموجودة على الأبواب فوجدها تبدأ من الرقم واحد وتنتهي عند الرقم أربعة، أربعة أبواب أمامه لا يعلم ما الذي يوجد خلفها، غير أنه على يقين أنه لو استطاع فتح أحدها سيجد خلفه حلًا لأغلب الالغاز التي تحير (أسامة) فيما يتعلق ب(محمود)، ولكن الوقت يداهمه. نظر إلى الأبواب نظرة وعد بأنه سيكون هنا ليكشف ما خلفها، وتحرك حتى وجد درجات من السلم تصعد إلى أعلى فبدأ في الصعود برفق حتى وصل إلى

النهاية، وجد بابًا كبيرًا في نهاية الممر، فتحه برفق فوجده غير مغلق في سابقة غريبة من نوعها، فأبواب السجون هذه لا تُترك هكذا دون إغلاق محكم. حمد الله على أي حال، فربما كان هذا من حسن طالعه، وتسلل حتى السور، فتسلقه إلى خارج الصومعة.

وجد (أسامة) ينتظره في سيارة في المكان الذي اتفقا عليه، فصعد إليها وتحركا حتى وصلا إلى ميدان التحرير، وقبل أن يغادر السيارة خلع لثامه وأعطى (أسامة) الفلاش ميموري، ثم ذاب في زحام القاهرة.

في منزله، فتح (أسامة) اللاب توب وأوصل الفلاش ميموري ليبدأ في تصفح ما يوجد عليها، وليته ما فعل.

بدأ في تفريغ المحتوى على اللاب توب وهو يحتسى قهوته في انتظار ما سيحصل عليه من هذا المجهول، بعد دقائق قليلة انتهى التحميل وبدأ يتصفح المحتوى وهاله ما وجد.

وجد مجموعة من الملفات مقسمة إلى أربعة أجزاء، كل ملف به مجموعة من الصور بالإضافة إلى بعض الفيديوهات، لفت نظره وجود ملف يحمل الرقم أربعة وبه بعض الصور ل(هيام)! فتح الملف يتصفح محتواه وعيناه يملؤها الفزع والذهول، وجدها ملقاة على الأرض مقيدة اليدين والقدمين، وقد تم تعذيبها إلى أقصى حد. تفقد الصور واحدة تلو الأخرى، وجد مجموعة من

الحروق تملأ جسدها بداية من رأسها وحتى أخمص قدميها؛ اختار الفيديو الأول ليشاهد محتواه، فرأى شخصًا مقنّعًا يقترب من (هيام) المقيدة على كرسى من المعدن وما زالت بصحة جيدة، بدأ التصوير يقترب منها قليلا وهذا الشخص المقنّع يبتعد عن الكادر لتظل هى فقط أمام الكاميرا.

ـ انتى عارفة يا (هيام) انتي موجودة النهارده هنا ليه؟ وليه أنا جيبتك بالطريقة دى؟

أخذت تبكي وهي تتلفت حولها وتحاول نزع يديها من الأصفاد التي تكبلها ولكن لا مفر، انتحبت محاولة ألا يخرج صوتها، ولكن مع هيمنة الصمت على المكان أصبح لبكاءها صدى.

ـ انتى هنا النهارد لأنك خنتى (أسامة)، بس أنا مشكلتى مش إنك خنتيه، أنا مشكلتى مع الشخص اللي انتى خنتيه معاه، مشكلتى مع (مصطفى)!

نزلت الكلمة على (أسامة) كالصاعقة، (مصطفى)! هذا الشخص الذي حاول أن يساعده وتوسط له لدى (محمود) حتى يستطيع أن يقتات من عمله هو من يفعل به هذا؟! يخونه مع زوجته، كل الويل له عندما ينتهي (أسامة) مما بين يديه.

ـ مشكلتى الكبيرة كانت معاكي في إنك بتنقلي لمصطفى كل تحركات (أسامة)، ومن غير ما تحسي كنتى تقريبا بتدمري جوزك، وبرده مش دا اللي كان هاممني،

اللي كان هاممنى أن الشغل اللي أنا مكلفه بيه محدش هيعرف يعمله غيره، وبالتالى انتي كنتي بتأثري على شغلي بالسلب، ومكانش ينفع أسيبك تدمرى شغلي بكل بساطة كده، حبيت أقرص ودنك مرة واتنين بإني أسحل (مصطفي) في شغل كتير علشان متعرفوش تتقابلو، بس للأسف مكنتيش بتسكتي إلا لما يجيلك، والمرة الوحيدة اللي روحتي انتي عنده حظك خانك لأني كنت مركب كاميرات في شقته لما حسيت من أول يوم دخل فيه مكتبى أنه مش شخص سهل وإن وراه حاجة كبيرة، اتصورتي وانتي في حضنه وبعت الصور دي ل(أسامة) ودا كان سبب الحادثة اللي هو مر بيها، عامةً اللي انتي هتحسي بيه دلوقتى هو تمهيد للي جاي، فعاوزك تستمتعي بأقصى قدر ممكن علشان الإحساس دا مش هيتعوض تانى، وعلى فكرة كل المعلومات اللي (مصطفى) نقلها للهادي وانتي ساعدتيه فيها مكانتش سليمة لأني شكيت فيه زيادة من بعد حادثة (أسامة) وكنت حاسس أنه عارف حاجة عن الكاميرات في بيته، فحب ينتقم منى بتعاونه مع (محمد الهادي) وأكيد هو اللي عرفه إني مراقبه، ودا اللي أنا لسة مش عارف (الهادي) عرفه إزاي، بس عامةً هو في أوضة من الأوض اللي جنبك هنا ومسيرى هعرف كل حاجة.

بدأت الكاميرا تعود إلى الخلف تدريجيا، واقترب المقنّع من (هيام) ووضع شريطًا لاصقًا على فمها ثم أدى تحية كلاسيكية إلى الكاميرا وأشار إلى (هيام)

مرة أخرى. بعد ثوانى قليلة بدأت بعض القطرات من سائل ما تنتشر في كافة أنحاء الغرفة عن طريق رشاشات معلقة بالسقف، وهنا ارتفع صراخ (هيام) بشدة ولكن الشريط اللاصق كان يمنع صدور أي صوت منها سوى أنين مكتوم، تزايدت القطرات وارتفع الانين أكثر، لم يتحمل (أسامة) مشاهدة الوقت المتبقى من الفيديو فأغلقه ووضع كفيه على رأسه بعدما هاله ما رأى. خرج من الملف رقم أربعة ثم توجه إلى الملف رقم ثلاثة، وجد مجموعة من الصور لامرأة في عقدها الرابع غطى الدم كامل جسدها، بحث عن فيديو هذه الحالة فوجده وسط مجموعة من الصور، وحين فتحه وجدها كما وجد (هيام) في بادئ الأمر بحالة جيدة، حاول تذكر ملامحها المألوفة، واستغرقه الأمر بعض الوقت، لكنه في النهاية استطاع التعرف عليها، فقد رآها كثيرا على شاشات التلفاز ويبدو أن نهايتها أيضا ستكون على شاشة. تابع الفيديو منتظرًا أن يعرف ما سيحل بها، لكن يبدو أن التسجيل انتهى قبل اكتماله. حاول البحث مرة أخرى عله يجد الفيديو موجودًا في أي مكان آخر ولكنه فشل.

خرج من الملف الحالى وفتح الملف رقم اثنان فوجد مجموعة كبيرة من الصور تختلف عما وجده في الملفات السابقة، وجد رجلًا مقيدًا بمقعد من الحديد ولم يستطع تحديد ملامحه بالمرة، يبدو أنه تم حرقه حيًا، فتح الصور جميعها وهو

يضع يده على رأسه بعدما انتابته حالة من الفزع جراء ما شاهده في الملفات السابقة، ولكنه لم يكن يعلم أن القادم أسوأ مما يخيله له عقله. بعد جولة في الصور الموجودة بالملف قرر أن يفتح الفيديو، يبدو أن الفاعل يتبع منهجًا محددًا مع كل الحالات الموجودة لديه، ويبدو أنه يستمتع بقيامه بذلك. قام بتشغيل الفيديو فوجد (مصطفى) يجلس على مقعد من الحديد ويبدو أن شيئًا ما موجود أسفل هذا المقعد ولكنه لم يستطع تحديد ماهيته، بدأ الشخص الملثم في الحديث مباشرة دون أن يظهر في الفيديو.

ـ طبعا أنت مستغرب وجودك انهاردة هنا يا (مصطفى) ومستغرب الطريقة اللي أنا جيبتك بيها، بس بصراحة أنت أكتر حد كنت متضايق منه جدًا رغم إني كنت متوقع اللي هتعمله دا من ساعة ما عرفت إنك على علاقة ب(هيام). أيوة متستغربش أنا كنت عارف كويس إنك على علاقة بيها وقلت يمكن نزوة وهتروح لحالها، بس تقريبا أنت الموضوع عجبك طالما مفيش فيه قيود ولا جواز ولا مسؤولية فقلت تكمل. مش دى مشكلتى معاك، مشكلتى الرئيسية إنك اتكشفت و(أسامة) عرف إنك ومراته على علاقة ودا كان السبب الأول والرئيسي في وجودك هنا، أما السبب التانى فهو إنك كنت بتوصل كل المعلومات المتاحة قدامك لـــ(محمد الهادى) وهو كان بيعرف يستغلها أفضل استغلال، خصوصًا إن هو اللي عرفك إني عرفت بعلاقتك مع

(هيام) وعلشان كدة حسسك إنه بيساعدك. بس اللي أنت متعرفوش إنه كان بيستغلك علشان ينتصر عليا، وأنت بالنسبة ليه كنت كبش فدا، خصوصا إنك في وقت غضبك ملقيتش قدامك حل غير العرض اللي هو قدمهولك، ورغم إنك شخص شكاك جدًا إلا إنك وقتها معرفتش تعمل كنترول على نفسك ووقعت في شر أعمالك. في الأول كنت هتجنن وأعرف مين اللي بيوصله المعلومات، شكيت في كل الناس اللي حواليا حتى أقربهم ليا لدرجة إني شكيت في (هيثم) نفسه، لكن أنت كنت غبي في مرة من المرات وقعت بلسانك في الكلام وأنا عديت الموضوع وعملت نفسي مش واخد بالي، بس اللي بيشتغل معايا وميصونش العيش والملح أنا ببكته الملح اللي أكله معايا، اللي مستغربله فعلا بقى إن في معلومات وصلت لـــ (محمد الهادى) أنت نفسك متعرفش عنها حاجة، أنا عاوز أعرف المعلومات دى وصلت ليه إزاي؟ أتمنى الحفلة اللي هتبدأ دلوقتى تكون لطيفة وإنك تستمتع معانا بيها.

أنهى الملثم حديثه ثم أشعل القداحة التي كانت في يده واقترب من المقعد الذي يجلس عليه (مصطفى) ومال بجذعه قليلا ليشعل الموقد الموجود أسفل المقعد. بدأ (مصطفى) يهتز بقوة لعله يستطيع حل وثاقه ولكنه لم ينجح، بدأ صراخه يرتفع بشكل جنونى، لم يكن هذا الملثم يضع الشريط اللاصق على فمه كما فعل مع (هيام) لذلك كان صوته يصمم الآذان، ظل (مصطفى)

يصرخ حتى فقد وعيه من شدة الألم، ولم يستطع (أسامة) مشاهدة المزيد فأغلق الفيديو وخرج من الملف ثم انتقل إلى آخر حمل الرقم واحد فوجد به (محمد الهادى)، أشهر رجل أعمال صاعد في الفترة الحالية.

***

بعد عدة أيام الساعة الثالثة فجرًا

حالة من الهرج انتشرت بإحدى المستشفيات الكبيرة بالتجمع الخامس، توقفت سيارة إسعاف أمام الطوارئ وتوقفت خلفها سيارة سوداء هبط منها (هيثم) ومعه بعض رجال (محمود) المقربين، بينما وُضع الأخير على الترولى وتوجه به المسعفون إلى غرفة الطوارئ. تولى أحد الأطباء قياس ضغط الدم بعد أن فتح عين (محمود) ووجدها شديدة الاحمرار، وبالفعل وجد ضغط الدم مرتفعًا فاشتبه في وجود جلطة وأخبر التمريض بتجهيز محلول توسيع الشرايين بالاضافة إلى حقنة هيبارين لإذابة الجلطة. وخلال دقائق قليلة تم تجهيز (محمود) وتعليق المحلول، وقف الطبيب الموجود يحاول أن يعرف سبب ارتفاع ضغط الدم بهذه الدرجة، فأخبره (هيثم) أنه تعرض لصدمة شديدة بالعمل وبعدها بعدة دقائق وقع مغشيا عليه بعد أن أمسك رأسه متألمًا بشدة.

طلب الطبيب إجراء بعض الفحوصات للمريض حتى يعود إليه مرة أخرى.

وبعد عدة ساعات خرج الطبيب إلى (هيثم) وأخبره أن حالة (محمود) أصبحت مستقرة إلى حد كبير وانه إذا مرت الـ ثمان والأربعين ساعة القادمة بخير سيستعيد (محمود) وعيه، وحتى ذلك الحين فالزيارة ممنوعة.

فى نهاية الممر المؤدى إلى غرفة (محمود) وقف شخص يسأل أحد أفراد التمريض عن رقم غرفة، وعندما فشل في العثور على الشخص الذي يبحث عنه توجه إلى خارج المشفى وأجرى اتصالًا هاتفيًا ثم ركب سيارته واختفى.

بعد ساعات انتشرت حالة من الهرج في الدور الذي توجد به غرفة (محمود)، استدعت إحدى الممرضات الطبيب فورا بعد أن بدأت ضربات قلب المريض تتسارع بشكل جنونى ولا أحد يعرف السبب. هرع إليه الطبيب، لكنه فور أن دخل الغرفة وجد القلب قد استكان تماما. حاول إنعاش القلب بشتى الطرق ولكن لا حياة لمن تنادى، توقف القلب تماما ومعه ظهرت حالة من الهلع على (هيثم) لا يعلم ماذا يحدث، سأل الطبيب فأخبره أن القلب قد توقف بعدما انتقلت الجلطة من المخ إلى القلب. سأله عن كيفية حدوث ذلك، فتساءل الطبيب ما إذا كان المريض يعاني من أي مشاكل بالكبد، نفى (هيثم) علمه بذلك، وطلب من الطبيب تقريرًا يوضح سبب الوفاة بشكل قاطع.

بعد عدة أيام تم فيها دفن محمود وإعلان حالة الحداد، اتصل أحد المسئولين

بالمستشفى ب(هيثم) وأبلغه أن التقرير الذي طلبه جاهز، وهناك علم أن الخمور التي كان يشربها (محمود) أدت إلى مشاكل كبيرة في الكبد، وعندما وُضع المحلول لإذابة الجلطة دون علم الأطباء بحالة الكبد، انتقلت الجلطة إلى القلب بسبب نسبة السيانيد بالمحلول، وبالتبعية أدى إلى الوفاة. وحين سأل (هيثم) أطباء آخرين عن الإجراء المتبع عادة في مثل هذه الحالات من الجلطات، تأكد أن ما تم مع رئيسه السابق هو ما يتم مع كل مرضى الجلطات، ولكن في حالته كان الإجراء قاتلًا.

***

اقترب (أسامة) من قصر كبير بعد أن ترجل من السيارة التي اصطحبته قبل قليل، ودخل بعد أن أخبره المرافق له بأن سيده في انتظاره. عبر الباب الداخلي متوجهًا إلى المكتب بعد أن اصطحبه أحد العاملين بالقصر، وعندما دخل وجد رجلًا كبير السن يجلس ممسكًا في يده عصا حلزونية لها رأس أفعى سوداء. اقترب بعد أن أذن له هذا الشخص وجلس على أحد المقاعد المواجهة للمكتب بعدما وجد الشخص ضخم البنية الذي قابله عدة مرات والذي ساعده في الوصول إلى ما أراد من صومعة (محمود) يقف بجوار هذا الشخص.

ـ طبعا أنت مش عارف أنا مين، بس كل اللي كان يهمك هو إنك تحصل على

انتقامك ودا اللي خلانى أساعدك، كل معلومة أنت زودتنى بيها قدرت تخلينى احصل على مجموعة الصفقات الأخيرة اللي كانت مؤسسة (الهادي) بتنافس بيها (محمود)، ودا اللي كان مخلى (محمود) قرب يفقد عقله، إزاي الصفقات كلها راحت لمؤسسة (الهادى) و(محمد الهادى) نفسه محبوس عنده في القصر، دا غير أن كان ليا واحد من رجالتي موجود تحت إيد (محمود) بس عمره ما قدر يكشفه لأني مربيه من صغره ومشربه الدور اللي هيقوم بيه كويس.

وجد هذا الشخص علامات التعجب تظهر جلية على أسامة فأكمل حديثه

ـ متشغلش بالك أنا عرفت الكلام دا كله منين، ولا إزاي قدرت أحصل على المناقصات دى، بس أحب أقولك إنك حصلت على انتقامك بشكل أكبر مما تتخيل، لأن زى ما أنت عارف (محمود) مش متجوز ومفيش أي حد يورث كل الاموال بتاعته، بس اللي متعرفهوش أن (محمود) كان ليه ابن مسفره انجلترا ومش معرّف أي حد بيه لأنه كان ابن غير شرعى، بس واحنا قاعدين بنتكلم دلوقتى (هيثم) قاعد مع ابن (محمود) وبيعرفه حجم الحياة اللي هو داخل عليها وبيعرفه إن في خلال أيام هيكون في تواصل معاه من السفارة علشان يرجع يستلم ورثه في أبوه، آها متستغربش إن (هيثم) هو اللي سافر لابن (محمود)، مهو (هيثم) هو الراجل بتاعي. كنت أتمنى وأنت راجع البيت

تكون مراتك في إيدك بس قضاء ربنا محدش يقدر يقوله لا، وأنت راجل مؤمن وعارف أن لكل أجلٍ كتاب.

ـ هو أنا ممكن أسال سؤال؟

ـ طبعا يا دكتور، اتفضل.

ـ أنت ليه بتعمل كل دا؟ وأنت مين اصلا؟

ـ أنا (محمد الهادى) أو زى ما بيسمونى في الكار بتاعنا (الأبتر)، أما اللي أنا بعمله دا كله بعمله لأن (محمود) اللي كنت شايفه قدامك جبروت ومال وسلطه أنا اللي عملته، في يوم من الأيام كان ليا منافس صعب أقدر أتغلب عليه لوحدى فكنت محتاج مساعدة، وفى نفس الوقت أنا مبحبش أمد إيدى لحد علشان ميبقاش في حد ليه الفضل عليا. فضلت أدور على حد أقدر استعين بيه ويفضل ولاؤه ليا لحد ما في يوم وأنا ماشى بالعربية شوفت (محمود) دا مرمى في الشارع، لفت نظرى بنيانه القوي، فخليت رجالتي تتابعه كويس هو وكام واحد تاني، بس كانت التقارير اللي بتجيلى من الرجالة بتؤكد أن محمود هو الشخص المناسب، خصوصا أنه كان ذكي جدًا وجريء، مبيخافش من حاجة وفى نفس الوقت مقطوع، ملوش حد يسأل عليه لو اختفى. أخدته ونضفته وعلمته الكار بتاعنا، في أول كام سنة قدر يعوضلى جزء كبير جدًا من مكانتى اللي كنت بدأت أفقدها في السوق، بس بعد ما

المنافس الوحيد ليا صفى كل أعماله في مصر وطلع على الخليج ومحمود لقى نفسه تحت إيده فلوس كتير فقال يقلب الترابيزة عليا. في الوقت دا كان ربنا رزقنى بمحمد ابني وساعتها محمود مكانش يعرف عن وجوده أي حاجة، وبموجب التوكيلات اللي أنا كنت عاملها ليه لإدارة الشركة اللي أنا فتحتهاله، باع كل حاجة لنفسه بيع وشرا، وقانونا محدش يقدر يتكلم في أي حاجة لأن الأوراق كلها سليمة. ساعتها جاتلى جلطة قعدتنى في السرير سنين، وبعد ما قدرت أقوم منها كان محمود وصل للى أنت شايفه فيه دلوقتى، فضلت أعافر وسفّرت محمد ابني يتعلم بره، وأول ما رجع فتحتله شركة الهادى للمقاولات بالفلوس اللي كانت فاضلة معايا، بس طبعا مكنتش ظاهر في الصورة. ولأني عارف أن محمود هيحاول يعمل تحريات عن الشركة اللي ظهرت من العدم وبتنافسه خليت نانا تظهر في الموضوع، وبحكم إنها تجمعها صداقة مع محمود جهزت ملف عن شركة الهادى وسلمته ليها علشان تقرب لمحمود أكتر، وفى نفس الوقت جهزت ملف عن محمود فيه كل خباياه اللي مفيش أي حد يعرفها وسلمته ليها علشان تقدر تبتزه، وبالفعل هى طلعت شاطرة في دا، بس اللي اتربى على إيدي مفيش حاجة ممكن تلوي دراعه، علشان كدة محمود أنهى وجودها من على الساحة، بس من غبائه خلى الدليل موجود عنده في القصر.

ـ طيب دلوقتى أنت قلتلى أن محمد ابنك موجود عند محمود في القصر، هل في شخص عأقل بيضحي بإبنه في سبيل أنه يحصل على انتقامه؟

ـ لما توصل للمرحلة اللي أنا فيها هتعرف كويس أنا عملت ليه كدة، ثم إني مضحتش بيه ولا حاجة، هو حاليا بيتعالج في أكبر مستشفي في البلد، وفى أقرب وقت هيبقى تمام وهيرجع يمسك الشركات بتاعته تانى، آها منا نسيت أقولك إني زى ما فتحتله شركة المقاولات دى كان في مجموعة من الشركات التانية فتحتهاله على صغير علشان تدعمه ودي كانت بمساعدة بعض الأصدقاء من برة مصر ودا الكارت اللي كان مجنن محمود أن إزاي شركة الهادي بيجيلها معونات خارجية وبدأ يسعى في أنه عاوز يبقى زيه بس معرفش.

ـ دلوقتى أنت عرفتنى عملت دا كله ليه، بس أنا محتاج أعرف حاجة واحدة أخيرة، ليه سموك الأبتر؟

ـ لأن لدغتى والقبر.

تمت بحمد الله

الجمعة 24/ 7/ 2020

الساعة 11.52 صباحا

أبي ... أخبرتنى كثيرا أنه لا جدوى مما أقوم به إلا إذا كنت أحبه وها أنا الآن أبرهن لك أنني أصبحت أعلم طريقي جيداً ، كل سبل الشكر لا توفي لك حقك ، أحبك أبى ♥

أمي ... جنة الله على أرضه ، مهما أحبنى الناس لن أجد من يحبنى قدر حبك لى ، كلما نظرت إلى عينيكِ شعرت بحب يكفي الدنيا ويفيض ، أتمنى أن أجعلكِ فخورة بى

إخوتي (رانيا – عائشة – أسماء – فاطمة)

إلى من تحملت قراءة كل فصل على حدة دون أن تعلم ما هو قادم ، إلى من دعمت ووجهت ونصحت ، إلى من تحملت شطحاتى وجنونى ، إلى الابنة والأخت والصديقة والحبيبة والزوجة / منة الله محمد همام

كل الشكر والعرفان إلى كل من ساهم في إتمام هذا العمل أو قدم العون وأخص بالذكر

رباب فؤاد ، حسن بركات ، د.إسراء صلاح ، د.سراج منير ، أسامة محمود غريب ، أحمد مجدى عبدالباقى ، دعاء معوض ، بهاء حجازى ، علاء جابر ، تامر الحناوى ، أحمد المصرى ، عماد مدين ، محمد مسعود ، م.كريم عبدالعظيم ، إسلام الحماقى ، د.أدهم محمد فهمى ، عمرو أيمن محمد .